التوحيد

عدد خاص

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية - العدد ٥٣٧ السنة الخامسة والأربعون - رمضان ١٤٣٧ هـ

الثمن جنيهان



رمضان شهر الانتصارات.. وأمة تلاحقها الطعنات

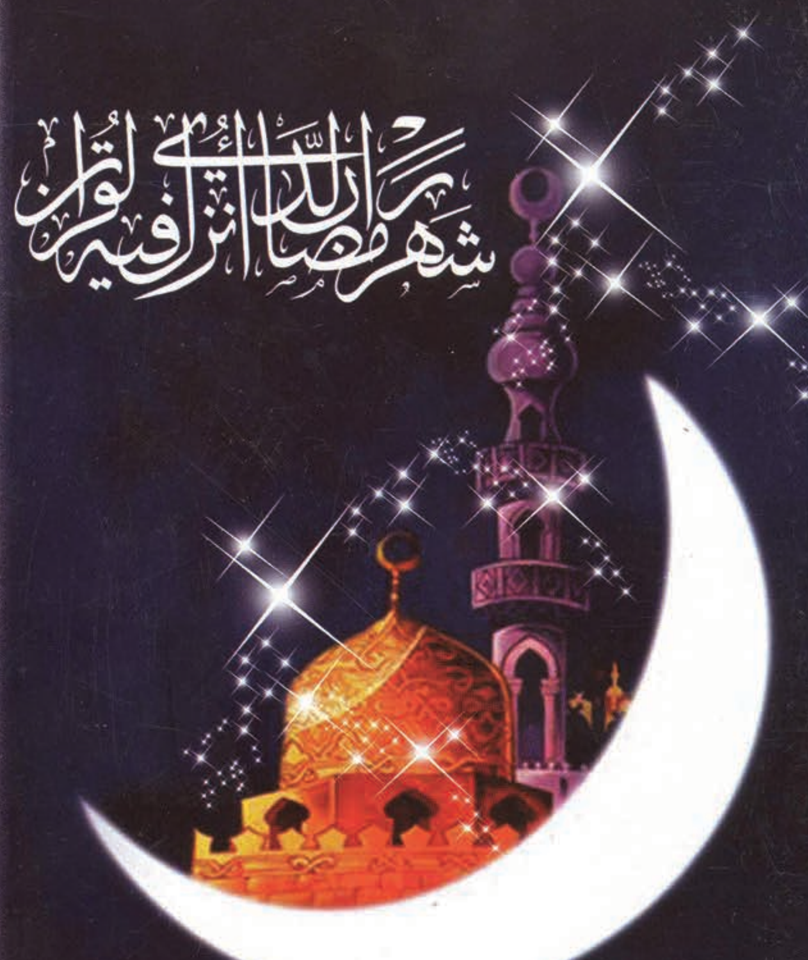
المسجد ودوره في رمضان



صلاة الوتر.. أحكام وآداب



صلاة التراويح وشفقة النبي ﷺ بالأمة



رمضان وتلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر، برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

روح الصيام

رفع الله بفضله ونعمته العذاب عن الأمة بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، ولهذا قال بعض الصحابة كأبي موسى وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: «كان لنا أمانان؛ ذهب أحدهما، وبقي الآخر، فإن ذهب الآخر هلكنا»، ويعني بالذي ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي بقي الاستغفار.

وقال الرَّبيع بن خثيم (تابعيّ من الثّانية): «تضرّعوا إلى ربّكم وادعوه في الرّخاء؛ فإنّ الله قال: من دعاني في الرّخاء أجبته في الشّدّة، ومن سألني أعطيته، ومن تواضع لي رفعته، ومن تضرَّع لي رحمته، ومن استغفرني غفرت له».

وقال الفضيل - رحمه الله تعالى -: «استغفار بلا إقلاع توبة الكذّابين»؛ ويقاربه ما قيل: «استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير».

قال ابن الجوزيّ: إنّ إبليس قال: «أهلكْتُ بني آدم بالذّنوب وأهلكوني بالاستغفار وبـ(لا إله إلّا الله)، فلمّا رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنّهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا». فاللهم إنا نستغفرك؛ إنك كنت غفارًا.

التحرير

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

في هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

تُرسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

جماعة أنصار السنة المحمدية

رمضان وتلاوة القرآن

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على من علمه الله الكتاب والحكمة، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثرهم، وسلك مسلكهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد شرَّف الله شهر رمضان على غيره من الشهور واختصه بإنزال القرآن فيه، كما قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ» (البقرة: ١٨٥)، كما فضلت الليلة التي نزل فيها القرآن على ليالي العام حتى صارت خيرًا من ألف شهر، فقال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» (القدر: ١-٣).

وهذا يدفعنا إلى أن ندرك عظمة القرآن الكريم، وأن نستشعر نعمة الله على هذه الأمة به، لأنه كلام ربنا حقًّا وصدقًا، وهو خير الكلام وأزكاه، وآخر وحي نزل من عند الله جل في علاه، وهو المعجزة الباقية المشاهدَة إلى يوم الدين، فيه الهدى والنور، والشفاء لما في الصدور، كما قال رب العالمين: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» (يونس: ٥٧-٥٨).

وقد أدرك السابقون فضل هذه النعمة فأقبلوا على القرآن الكريم تدبرًا وعلمًا وعملاً اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم «الذي قال الله له: «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» (العنكبوت:٤٥)»، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤه ويتلوه ويعلمه لأصحابه، كما فعل مع ابن مسعود رضي الله عنه، قال شقيق بن سلمة: «خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من في (أي: فم) رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم». (البخاري: ٥٠٠٠).

وقد رغَّب الله عباده، في كتابه وحثهم على تلاوة القرآن الكريم، ووعدهم على ذلك الأجر

العظيم، فقال جل وعلا: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ » (فاطر: ٢٩-٣٠)، وكان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء. (انظر: تفسير ابن كثير ٧٤٨/٣).

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين فضل تلاوة القرآن الكريم، كما في حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». (صحيح سنن الترمذي ٩/٣).

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». (مسند أحمد ١٩٢/٢، والترمذي في أبواب فضائل القرآن، وانظر: صحيح سنن الترمذي ١٠/٣).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن السكينة تتنزل لقراءة القرآن الكريم، كما في حديث البراء رضي الله عنه قال: « كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ». (مسلم: ٧٩٥).

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة، وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول رحمة الله وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن». (شرح النووي على مسلم ٨٢/٦).

وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وعنه أيضًا: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه». (البخاري ٥٠٢٧، ٥٠٢٨).

والحديث يدل على أن أفضل الناس على الإطلاق وأخيرهم من تعلم القرآن وعلمه، وهذا يدل على فضله ومكانته، وجلالة قدره وعظمته، وقد أدرك السلف رحمهم الله تعالى من خلال هذه النصوص فضل القرآن فأقبلوا عليه، واجتهدوا في الإكثار من تلاوته، حبًا لكلامه، وأنسًا بالعيش معه وتلاوته، وكان بعض الصحابة يكثرون من التلاوة؛ كعبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يختم في كل ليلة، وخفف عنه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وحديثه في الصحيحين وغيرهما.

وهذا أبو الدرداء عويمر بن مالك رضي الله عنه تعلم القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يجلس في دمشق لتعليمه، فيجتمع عليه خلق كثير، يقول مسلم بن مشكم قال لي أبو الدرداء: «اعدد من في مجلسنا. قال: فجاؤوا ألفًا وستمائة ونيفًا. فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرةً، فإذا صلى الصبح، انفتل وقرأ جزءًا؛ فيحدقون به يسمعون ألفاظه». (سير أعلام النبلاء ٣٤٦/٢).

ولما أقبل هؤلاء الرجال على القرآن رفعهم الله وأعزهم، وأعلى شأنهم، وكانت منزلهم تعرف بما لديهم من القرآن.

وفي صحيح مسلم أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين». (مسلم: ٨١٧).

ويستحب لقارئ القرآن الكريم أن يحسِّن صوته بالتلاوة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل كذلك؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «والتين والزيتون» في العشاء، وما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه أو قراءة. (البخاري: ٧٦٩).

وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا عنون له بقوله: «باب من لم يتغن بالقرآن»، ثم ساق حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه:

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن». وقال صاحب له: يريد يجهر به. (البخاري: ٥٠٢٣).

وقد ذكر ابن حجر أربعة أقوال في المراد بـ «يتغنى»، وذكر منها: تحسين الصوت، ثم قال: «ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القرآن بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع». (فتح الباري: ٧٢/٩).

كما عقد في كتاب التوحيد من صحيحه بابًا قال فيه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم». قال ابن حجر: «أشار بأحاديث هذا الباب إلى أن الماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به والجهر به بصوت مطرب بحيث يلتذ سامعه». (فتح الباري ٥١٨/١٣، ٥١٩).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الصوت الحسن بالقرآن ويثني على صاحبه، كما قال لأبي موسى الأشعري: «لو رأيتني وأنا أسمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود». (مسلم: ٧٩٣). والمراد بالمزمار هنا: الصوت الحسن، وكان داود صلى الله عليه وسلم حَسَن الصوت جدًا. (انظر: شرح النووي على مسلم ٨٠/٦).

وفي شهر رمضان يجب أن تزداد عناية المسلم وإقباله على القرآن الكريم، لأنه الشهر الذي نزل فيه، وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الليل للقيام بالقرآن وتلاوته في شهر رمضان.

ومن صور اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في رمضان ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة». (البخاري: ١٩٠٢).

قال ابن حجر: «كان جبريل يتعاهده في كل سنة، فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين؛ كما ثبت في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها». (فتح الباري ٣١/١).

وقال ابن رجب: «وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان، قال: فقرأ بالبقرة ثم النساء، ثم بآل عمران، وكان عمر قد أمر أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر». (لطائف المعارف ٢٤٣، ٢٤٤).

فيا أهل القرآن!! أقبلوا على القرآن قراءةً وتدبرًا وعملاً على الدوام، وتنافسوا فيه أكثر في شهر رمضان، فهو من أجل القربات وأعظم الصالحات، وفيه تكون الغبطة والتنافس والمسارعة، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». (البخاري: ٧٥٢٩).

والعبد إذا أراد الراحة والسكينة ولذة المناجاة فعليه بالإقبال على القرآن الكريم، وليستكثر منه ما استطاع، ومن كان صادقًا مع الله فلا يملُّ من القرآن أبدًا، وهذه خاصية لكتاب الله يتميز بها على غيره من سائر الكلام.

يقول الإمام شهاب الدين النووي رحمه الله: «الوجه السابع: أي- من وجوه إعجازه- أن قارئه لا يمل قراءته، وسامعه لا تمجّه مسامعه، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيده حلاوة ومحبة، لا يزال غضًا طريًا وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يُمَلّ من الترديد ويُسأم إذا أعيد». (نهاية الأرب ٣٠٦/١٨).

ويقول السيوطي في ذلك: «إن قارئه لا يمل وسامعه لا يمجّه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يُعادى إذا أعيد ويُمل مع الترديد». (الإنفاق: ١٥٦/٢).

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لصيام رمضان وقيامه وتدبر آياته وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.



رمضان شهر الانتصارات.. وأمة تلاحقها الطعنات

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي جعل الصيام وقاية من الآثام، ومعراجًا موصلاً إلى الجنة والرضوان، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وبعد:

فإن بلوغ شهر رمضان نعمة عظيمة من أعظم النعم التي تستحق الشكر، قال الله تعالى: «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (البقرة:١٨٥)، وهو القائل: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (ابراهيم:٧).

وكم يتمنى أهل القبور أن يعودوا إلى الدنيا ليدركوا هذه الأيام المباركات، فيعمروها بالطاعات، لتُرفع درجاتهم، وتُمحى خطيئاتهم، ويُعتقوا من النيران، وكم من مؤمل منا لبلوغ شهر رمضان حان أجله، وقُبضت روحه قبله بليالٍ! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فقد نزل بساحتنا شهر كريم، وموسمٌ عظيم، يحمل خيرات عظيمة، وبركات كثيرة، فيه مضاعفةٌ للحسنات، وتكفيرٌ عن السيئات، وإقالة للعثرات.

ولتعلم الأمة اليوم وهي تعيش مصائب شتى ونكبات لا تُحصى، تعتصر معها القلوب والأفئدة، ذلةً وهوانًا، وضعفًا وخذلانًا، أنه لا نجاة لهذه الأمة مما هي فيه إلا برجعة صادقة إلى الله جل وعلا، وبالتزام حقيقي بمنهج رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فتلك هي قواعد الإصلاح الحقيقي.

ومع ما يقع في مصر والعالم الإسلامي من أحداث تجتمع فيها أصابع الغدر ممن يكنون لتلك الأمة الحقد والكراهية، اجتمعت فيها أحقاد الأمريكان والصهاينة مع حلفائهم الشيعة الإيرانيين، والفلوجة وحلب تستصرخ ضمائر قد واراها التراب بلا مغيث، والمؤامرات ضد مصر تُحاك واحدة تلو الأخرى، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

شهر الانتصارات.. فلا تيئسوا مما يُحاك بكم !!

يطلّ علينا سيد الشهور ليوقظ روافد الخير في القلوب، ويُعطل روافد الحوب، ومساقي الذنوب، وقد ليُرهف أحاسيس البرّ في الشعور، ومعاني الإحسان وبَسط الحبور، فالأذن سامعةٌ، والعينُ دامعةٌ، والرُّوحُ خاشعةٌ، والقلبُ أوّاهٌ.

فليكن رمضان فرصة لنا للنظر في الأحوال، والتفكر في الواقع، لنصلح ما فسد، ونعالج ما اختلّ. وليكن هذا الشهر انطلاقةَ خير نحو مستقبلٍ مشرق لهذه الأمة، ونُقطةَ تحوُّل إلى أحسن الأحوال، وأقوم الأقوال والأفعال.

في تقلّب الأيام معتبر، وفي انصرام الأوقات مزدجرٌ، وفي قراءة صفحات التاريخ أعظم مدّكر، ونحن نستقبل رمضان فتعود بنا الذكريات الخالدة إلى تذكر شهر الانتصارات، فالنصر في معركة بدر، وفتح مكّة، نصرٌ وظفر، فوز وعزٌ وتمكين.

وكم يذكرنا رمضان بانتصارات المسلمين الخالدة، وبطولات للمؤمنين! وما معركة اليرموك عنا بغائبة، ولا القادسية بمنسية، وانتصار الجيوش العربية مع خير أجناد الأرض على الجبهة المصرية والسورية في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ الموافق للسادس من أكتوبر ١٩٧٣م،، وكسر شوكة الجيش الإسرائيلي، سيظل التاريخ يسجله بأحرف من نور، وتتدارسه الأكاديميات العسكرية حتى يومنا هذا بالبحث والتحليل.

ولتعلم الأمة ونحن نستقبل رمضان أن أولئك الأخيار ما حققوا العزة والنصر، ولا نالوا السعادة والتمكين، إلا بسبب تمسكهم بالإسلام، حُكمًا وتحاكمًا، منهجًا وسلوكًا، وتحقيق التوحيد الخالص لرب العالمين، والاعتزاز بهذا الدين القيم.

إلغاء مادة الدين.. واستبدالها بالأخلاق !!

إن مثل شهر رمضان المبارك كمثل حبل متين وثيق الفتل من تمسك به فكأنما هو يُمدد بسبب إلى السماء من الإيمان والمسارعة إلى الخيرات، ثم إن الانسجام المتكامل مع روحانية هذا الشهر لا يكفله الانسجام التام مع أطر الشريعة الغراء وثوابتها المتينة والمفهوم الصحيح لمعنى شهر رمضان المبارك، ومعنى حرمته وعظمته، وإلا فهيهات هيهات أن تستجلب القشعريرة المصاحبة لهذا الشهر وسط زوابع وهت فيها حبال التمسك الصريح بشرعة الله ومنهاجه، وحاضر الأمة ومستقبلها مرهون بمقدار الفهم الصحيح لحقيقة هذا الشهر.

وإذا كنا نتحدث عن تلك المعاني، فإنه حري بنا أن يستوقفنا ما يدور حولنا، خاصة هذه الأيام، حيث يدرس مجلس الشعب المصري قضية في غاية الخطورة والحساسية والأهمية، وهي إلغاء مادة الدين في المدارس وتغييرها إلى ما يسمى مادة الأخلاق أو القيم.

ومع غرابة الاقتراح من شتى المناحي، وخاصة أنه لا تعارض بين أن تكون هناك مادة للدين، وأخرى للأخلاق؛ لأن مادة الدين تخص الطلبة المسلمين، وهي تشرح للطالب بعض ثوابت دينه في العبادات مثل الصوم والصلاة.. وغيرها من أمور الدين، وفيها بعض آيات القرآن التي تساعد الطالب من حيث اللغة على التعامل مع لغة القرآن الكريم، نطقًا وإعرابًا، وذلك يُعدّ مفيدًا لدراسة اللغة العربية.

والفرق بين مادة الدين ومادة الأخلاق أو القيم أن الدين مادة ضرورية في تكوين الطالب في علاقته بعقيدته، أما الأخلاق فهي مادة عامة لا تخضع لثوابت العقيدة، ولكنها اجتهادات بشرية أقرب للنظريات الفلسفية منها للعقيدة الدينية.

إن إلغاء مادة الدين من المدارس خطأ كبير، وسوف يترك فراغًا كبيرًا في عقول الأبناء، وقد يعرض الطلاب لاكتساب أفكار متطرفة تجعلهم يسيرون في دروب مظلمة، وهو مشروع سوف يفتح الكثير من التساؤلات والأزمات والمشاكل التي نحن في غنًى عنها.

إن مادة الدين في المدارس جزء من منظومة متكاملة فيها اللغة العربية بقواعدها ونصوصها، والقرآن الكريم جزء أصيل منها، وفيها أيضا أهم الثوابت في العقيدة التي ينبغي أن يعرفها كل مسلم، ومنها العبادات صومًا وصلاة وزكاة، أما الأخلاق فهي طريق واسع يمكن أن تأخذ جانبًا من المناهج التعليمية.

فاللهم في هذا الشهر الكريم أنر بصيرتنا ووفقنا إلى ما تحبه وترضاه، واحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا.

أخطار تحدق بالأمة

بالأمس كنا نودع رمضان، وها نحن نقف قريبًا لاستقبال هذا الشهر، فما أسرع مرور الأيام! وهكذا الأعمار تطوى، فالسعيد من تزوَّد فيها للقاء الله، فعما قريب للدنيا نغادر، وللمقابر ننتقل، وبأعمالنا نُجزى.

ونحن نستقبل هذا الشهر العظيم، والأمة تحيط بها الأخطار والكوارث من كل فج عميق، ففي مصرنا الغالية توالت في الآونة الأخيرة على مسامعنا الكوارث والنكبات، ما بين حرائق متلاحقة تثير علامات الاستفهام والتعجب في آن واحد، وما بين ارتفاعات جنونية في الأسعار تفوق قدرة المواطنين على تحملها، وما بين البلاء والغلاء خط مفقود.

وقد عشنا في الآونة الأخيرة مسلسل الحرائق التي انتشرت في ربوع مصر، ثم خُتمت تلك الكوارث بكارثة الطائرة المصرية، والتي كانت قادمة من باريس وكان على متنها ستة وستين شخصًا بينهم عشرة من أفراد طاقم الطائرة، وحتى كتابة تلك السطور ما تزال الحقائق غائبة ما بين أن يكون سبب سقوط الطائرة عملاً إرهابيًا أو خللاً في الطائرة أو عيبًا فنيًا.

والمؤامرات ما زالت تتوالي في الأفق للنيل من مصر، ولكن الله سبحانه حافظ لمصر وشعبها، فاللهم في هذا الشهر العظيم رد كيد الكائدين، واجعل كيدهم في نحورهم.. آمين يا رب العالمين!!

عمدة مسلم للندن، ومسلمة تترأس برلمان ولاية ألمانية ! وماذا يعني ذلك ؟

وفي سابقة لم تحدث من قبل، تطالعنا الأخبار عن فوز أول مسلم من أصول باكستانية بعمودية لندن، وهو مهاجر مسلم ابن سائق للحافلات، وعلى الرغم من امتعاض بعض السياسيين بعد فوز صديق خان داخل وخارج بريطانيا، حيث تهكم البعض، وأطلق اسم لندنستان، ولندنخان في إشارة إلى هيمنة المسلمين على العاصمة البريطانية لندن، إلاَّ أن الجالية المسلمة في بريطانيا قد رحبت بفوز ولد صديق خان، وأصدر مجلس مسلمي بريطانيا بيان تهنئة بهذه المناسبة.

كما يلقى فوز خان ترحيبًا أيضًا في أوساط الأقليات الآسيوية والإفريقية في لندن وبريطانيا بشكل عام؛ إذ إن التعريف الديني له كمسلم هو أحد دواعي انتمائه، ولكنه ليس الوحيد، فالانتماء لجالية، كبيرة من الهند وباكستان وبنجلادش والعديد من الدول الإفريقية كأوغندا وملاوي التي تعيش في بريطانيا يشكل هوية إضافية للعمدة الجديد، كما يمثل انتصارًا لأولئك الأقليات بعد أن عاشوا فترة كبيرة من التهميش!

وفي منحى آخر ومغزى مهم بالنسبة للأقليات المسلمة في أوربا تطالعنا الأخبار في الأيام الماضية عن فوز «محترم آراس» النائبة عن حزب الخضر في برلمان ولاية «بادن» فورتمبرج الألمانية، برئاسة برلمان الولاية بأغلبية كبيرة، وهي خبيرة مالية وأول مسلمة تترأس برلمان تلك الولاية الصناعية الغنية الواقعة جنوب ألمانيا، وكرسالة على اندماج سياسي للألمان ذوي الخلفية الأجنبية، وقد وُلدت آراس عام ١٩٦٦م في إحدى قرى تركيا، وهاجرت مع والدها لألمانيا في نفس العام التي ولدت فيه.

هذا وإننا نسأل : هل تعني هذه الاختيارات الغربية شهادة عادلة أن الاسلام ليس عائقا للتقدم، وأنه لا يمثل الإرهاب الذي وسمه به شانئوه ؟!

مآسي المسلمين مع استقبال رمضان

نستقبل شهرًا له عند كل مسلم منزلة خاصة، فرمضان ربيع قلوب المؤمنين، وسراج الصالحين، وأنس المتقين، وبشرى للعابدين.

ويطوف بنا طائف العام بأيامه ولياليه، وإشراقاته وأماسيه، وانتصاراته ومآسيه، وحسناته ومساويه، وقد علق بالنفس منها أوزارٌ وانكسارات، وفتورٌ وانتكاسات، تُثقل العبد في سيره إلى الله، ويستطيل لأصلها السبيل إلى موعود الله، بل ربما استوحش الطريق، وملَّ الرفيق فرتابة الأيام تُثقله، وينوء بالآلام كاهله، فكان لابد للتنفس في هذا الهجير من ظلٍ نتفيؤه، وفي هذا البحر

من مرفأ نرسو عليه، لتستريح النفس وتتروح، فإن السفر طويل، والزاد قليل، والعقبة كؤود، فمنح الله الكريم عباده شهرًا كريمًا، وموسمًا عظيمًا، يتزود فيه المسلم بالتقوى، شهر يُبل عطش النفوس ويداوي جراحها، ويفيض على الأرواح من بركاته ما يكون به فلاحها، شهر ينتصر فيه العبد على شهوته وشيطانه، شهر فيض الرحمات، وموسم إقالة العثرات.

الفلوجة وضمائر قد واراها التراب!!

نستقبل شهر الرحمات وما زالت تحط على الأمة ضربات ونكبات وخطط ومؤامرات، والفلوجة تحتضر أمام أعين العالم في إبادة جماعية، والحال ليس ببعيد عما حدث وما يحدث في مدينة حلب وضواحيها، وكأن الرافضة هناك ليسوا بأسوأ من بشار، فنفس الطريقة في القتل، اتفقوا على تدمير سوريا والعراق، خاصة أهل السنة!!

مدينة الفلوجة مدينة العزة والكرامة، مدينة التجار والأغنياء، تتحول إلى مدينة الجياع، قسوة الحياة كبيرة، والأمل بالله أكبر، الفلوجة تُذبَح من الوريد إلى الوريد، وقوات الحشد الشيعي، واستخبارات كتائب حزب الله تحدد موقع ما يسمى بوالي الفلوجة وتستهدفه بوابل من القذائف الصاروخية.

الحصار قاتل، والجرح عميق، والمسلمون يتفرجون بعد أن قطعت كل الطرق لمنع دخول الغذاء إلى المدينة، وصار بعض السكان يأكلون الحشائش وأوراق الأشجار حتى يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة، في حصار ظالم ومجحف منذ ما يزيد على عامين.

وفي شأن متصل بما ذكر يهدد الإرهابي المتشدد في ميلشيات الحشد الشعبي «أيوب فالح الربيعي»، المعروف باسم «أبو عزرائيل»، أهالي مدينة الفلوجة بالقتل بالإضافة إلى تسوية المدينة بالأرض، وإن ظهور هذا الإرهابي الشيعي أبو عزرائيل في الفلوجة يعد دلالة على البعد الطائفي لما يحدث هناك ضد المسلمين السنة.

واليمن واليمنيون ليسوا ببعيد عما يحدث من الحوثيين وأعوانهم، ولا تزال إيران تصدر إلى دول الخليج والدول العربية التمدد الإيراني لمحاولة نشر التشيع والسيطرة على الخليج وسط معاناة الدول السُنية لحالة من الضعف الشديد. وإنا لله وإنا إليه راجعون!

توبوا إلى الله.. فقد لا يدرككم رمضان مرة أخرى!

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بظهور الفتن في الدين والدنيا بما يصد عن الإيمان بالله جل وعلا، والقيام بأمره واتباع هدي نبيه صلى الله عليه وسلم، وفتن الدنيا بما يحصل من القتل والخوف، والسلب والنهب والحرائق، وإسقاط الطائرات ونشر الفوضى، وزرع اليأس في نفوس الناس، ونحوها ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يتقارب الزمان وينقص العمل، ويُلقى الشح وتَظهر الفتن». (رواه البخاري ٥٦٩٠).

إن الفتن يصيب ضررها الجميع، ويكون معها الشر والفساد للبلاد والعباد، إذا لم تعالج بميزان الشرع، ولم يَحكُم الناس أنفسَهم بتعاليمه، ولم يراعوا الأمور حق رعايتها ويُستعدوا للنوازل والمدلهمات بما يعالج أضرارها، ويرفع آثارها، لذا جاء الشرع بالتحذير من الفتن وغلوائها وشرورها، يقول الله جل وعلا: « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً » (الأنفال:٢٥)، فلننتهز هذا الشهر العظيم شهر التوبة والغفران، فتوبوا من قريب، وبادروا ما دمتم في زمن الإنظار، وسارعوا قبل ألا تُقال العثار، فالعمر منهدم، والدهر منصرم وكل حي غايته الفَوْت، وكل نفس ذائقة الموت، ومن حضره الموت وصار في حين اليأس، وحال المعاينة، والسَّوْق، وغمرة النزع والسكرات لم تُقبل منه توبة ولم تنفعه أوبة، « وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (النساء:١٨).

فاللهم أعد علينا رمضان أعوامًا وأعوامًا.. ورد الأمة إليك ردًا جميلاً، وتهنئة خالصة للأمة الإسلامية شعوباً وقادة، داعيًا المولى سبحانه أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصل اللهم على سيد البشرية أجمعين.

المسجد ودوره في رمضان

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

المسجد هو تلك البقعة الطاهرة المباركة التي اختارها الله تعالى ليذكر فيها اسمه، وجعلها خير بقاع الأرض وأحبها إليه:

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: « أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا ». وشهد لعمارها بالإيمان فقال: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ » (التوبة: ١٨)، ووعدهم أن يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، فقال تعالى: «رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (النور: ٣٧- ٣٨).

وقد ورد في فضل المشي إلى المساجد، وشهود الجماعة، وانتظار الصلاة، أحاديث كثيرة لسنا بصدد ذكرها، لأننا نريد أن نبين ما يعود على المسلمين من الخير في التزام المساجد والحرص على الصلاة فيها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من المعلوم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل المدينة بدأ ببناء المسجد قبل بناء البيت، لأن المسجد يغني عن البيت، ولا تغني البيوت كلها عن المسجد، فالمسجد بيت من لا بيت له، ومأوى كل ضيف، ولذلك كان فقراء المسلمين يأوون إلى المسجد ويقيمون فيه، وكان الشاب الأعزب ينزل بالمسجد ويقيم فيه، أما دور المسجد فلا تستطيع البيوت كلها أن تقوم به، لذلك اهتم النبي صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد أولاً، لأنه أراد أن يبني الرجال، ويؤسس فيه القلوب على تقوى من الله ورضوان، فإن المجتمع الصغير الذي يكون في المسجد إنما هو صورة للمجتمع الكبير الذي يعيش الناس فيه خارج المسجد.

وإذا كان النظام أساس المجتمعات وأظهر أمارات رقيها وتقدمها فإنما يظهر هذا النظام في أحسن صوره ويتجلى في أبهى مناظره داخل المسجد، حين تقام الصلاة فيتقدم رجل واحد ليؤم الناس، ويقومون أجمعون وراءه صفوفًا معتدلة متساوية.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يهتم بتسوية الصفوف بنفسه، ويأمرهم بالتسوية بقوله، ويتوعدهم على عدم التسوية، والأحاديث في ذلك كثيرة.

وهكذا يظهر النظام في صفوف الصلاة خلف الإمام وهم ملتزمون بهديه، مقتدون بفعله، لا يركعون حتى يركع، ولا يرفعون حتى يرفع، ولا يسجدون حتى يسجد، ولا ينصرفون حتى ينصرف.

وإذا كان أساس الحكم العدل والمساواة فإنما يظهر العدل في أبهى صوره وتتجلى المساواة في أبهى حليها في الصفوف المنتظمة في الصلاة داخل المسجد، حيث يقوم الغني بجوار الفقير، والكبير بجوار الصغير، والعاميُّ بجوار الأمير.

وإذا كان لابد للدولة من أمير يرعى مصالح الناس، ولا بد للناس من رعاية حق هذا الأمير، وأن يدينوا له بالسمع والطاعة، كما أمر الله ورسوله، فإنما تتجلى مظاهر السمع والطاعة في الصلاة في المسجد، حيث يدين المأمومون أجمعون بالسمع والطاعة للإمام، فلا تقام الصلاة حتى يأمر الإمام بإقامتها، ولا يدخلون في الصلاة حتى يدخل فيها، ولا يركعون حتى يركع، ولا يرفعون حتى يرفع، ولا يسجدون حتى يسجد، ولا ينصرفون حتى ينصرف. فيتعلم المصلون أن إمام العامة أحق بالسمع والطاعة من إمام المسجد.

وإذا كان الإسلام نهى عن الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلي وإن كره الإمام، أو رأى فيه فسقا أو جورا أو بدعة، فإن هذا يروض النفوس على السمع والطاعة لإمام العامة وإن كان به فسق أو ظلم أو جور أو بدعة، والأحاديث في ذلك كثيرة.

وإذا كان من مظاهر الدولة الفضلى والمدينة المثلى أن يؤدِّي كل فرد ما عليه من حقوق، فإن المسجد يربي الناس على أن يعرفوا لكل ذي حق حقه، ويتجلى ذلك في تقدم الإمام، يليه أولوا الأحلام والنهى، أهل الفضل والعلم، ثم الكبار من العامة، ثم الصغار، فيتعلم الجميع أن للإمام حقًّا، ولأهل العلم والفضل حقًّا، وأن للكبير حقًّا، فعلى الصغير أن لا يتقدم على الكبير، وعلى العامة أن يتأخروا عن أهل العلم، وعلى الجميع أن يقدموا الإمام ويجلوه. والأحاديث في ذلك كثيرة. وإذا كان من مظاهر الدولة الفضلى والمدينة المثلى ظهور المحبة بين أفراد المجتمع وغياب الشحناء والبغضاء، فإن المسجد هو الذي يغرس في النفوس المحبة، وفي القلوب الألفة، وذلك حين يقومون في الصلاة صفًّا كأنهم بنيان مرصوص، وهذا التقارب في الأبدان يؤدي بفضل الله إلى تقارب القلوب والأرواح، ولذا توعد صلى الله عليه وسلم على عدم تسوية الصفوف بالمخالفة بين القلوب، فأفاد أن تسوية الصفوف وتقارب الأبدان يؤدي إلى ائتلاف القلوب.

وإذا كان من معالم الحضارة والتقدم والرقي أن يتقن كل عامل عمله فإن الصلاة هي الأصل في ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اعبد الله كأنك تراه»، وفي رواية: «اعمل لله كأنك تراه»، فإذا أتقن المصلي عبادته أتقن عمله، لأنه تربى على مراقبة الله في الصلاة، وعلم أن الله يراه حيث كان، فهو يتقن كل عمل وُكل إليه، وبإتقان العمل ترقى الأمم.

وإذا كان التعاون من أسباب نهوض الأمم ورقيها فإن التعاون داخل المسجد هو الذي يربي المسلم على التعاون مع إخوانه في أي مكان كان، وصور التعاون داخل المسجد في رمضان وغيره واضحة، فأهل كل مسجد يتعاونون على نظافته ورعايته، ورعاية كل ما يحتاج إليه، ويظهر ذلك في بناء المساجد، وفي الاعتكاف حيث يتعاون الجميع على إعداد الفطور والسحور ونظافة المسجد، كما يظهر ذلك في توزيع صدقة الفطر آخر الشهر على مستحقيها.

هذا هو دور المسجد في رمضان وفي غير رمضان، وهذا هو ما نرجو أن يربى المصلون عليه، وأن يغتنم أئمة المساجد فرصة إقبال المسلمين على المساجد في رمضان فيغرسوا في أنفسهم هذه الأصول والقيم، التي هي أساس سعادتهم.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه. والصلاة والسلام على خير رسل الله.



تأملات في أول ما نزل من آيات

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله المبعوث للناس كافة هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

فمما لا شك فيه أن أول ما أنزل من القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام هو قوله تبارك وتعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (العلق:١-٥).

هذه الآيات نزل بها الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين.

وكان نزولها بداية نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، لكنها والقرآن كله كان أنزل من قبل إلى السماء الدنيا في رمضان في ليلة القدر في الليلة التي أشار الله سبحانه إليها بقوله عز وجل: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» (القدر:١)، وبقوله تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» (الدخان:٣)، وهذه الليلة بإجماع في رمضان؛ لقوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» (البقرة:١٨٥).

واليوم لن أتحدث معك أيها القارئ الكريم عن كيفية نزول هذه الآيات ولا الصفة التي نزلت بها، لكني أريد أن أتحدث معك اليوم عن تلك المرحلة الفاصلة في تاريخ البشرية، وهي بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن. ويدور حديثنا بحول الله وقوته حول المحاور التالية:

أولاً: أحوال العالم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد أجمع المؤرخون من عرب وعجم على حالة التردي والانحطاط التي انحدر العالم إليها شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ونختار لك هذه الكلمات لصاحب كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» إذ يقول:

«وكان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح عليه السلام من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف، فكانت الإنسانية متدنية منحدرة منذ قرون، وما على الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي». اهـ.

ثم يواصل حديثه: «وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة، ولاذوا إلى الأديرة

والكنائس والخلوات، فراراً بدينهم من الفتن وضناً بأنفسهم، أو رغبة إلى الدعة والسكون، وفراراً من تكاليف الحياة وجدها، أو فشلاً في كفاح الدين والسياسة والروح والمادة، وفقدت اليهودية والنصرانية روحها، بل وشكلها، وأفلست في معنوياتها، ونضب معين حياتها».

ثم يقول: «وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة، ولا حكومة مؤسَّسة على العدل والرحمة، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء». اهـ.

وهذا الكلام الذي ذكره الشيخ الندوي رحمه الله يؤكده ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الحالة التي كان عليها أهل الأرض قبل بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب». (أخرجه مسلم).

وسبب هذا المقت كان الانحراف الشديد عن الأخلاق والتوحيد.

والبقايا التي عناها النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب هم من بقي على الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام من توحيد الله، والإيمان بأن عيسى عبد الله ورسوله وانتظار بعثة النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين، وكان آخرهم هو من أرشد الصحابي الجليل سلمان الفارسي، بالذهاب إلى المدينة ينتظر هجرة نبي آخر الزمان إليها ووصفها له كما هي عندهم في التوراة والإنجيل (قرية ذات نخل بين لابتين)، فلما رآها سلمان عرفها.

وقد أحسن أمير الشعراء شوقي رحمه الله حيث وصف هذه الفترة فقال موجهًا خطابه للنبي صلى الله عليه وسلم مادحًا:

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورًا مسخَّرة
لكل طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عم
يعذبان الناس في شُبَه
ويذبحان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم
كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم

(البهم: صغار الحيوانات، والبلم: صغار السمك).

ولله دَرُّهُ من قائل يصف حاله العالم حين فسد دينه فعبر الناس بعضهم بعضًا فامتلأت الأرض بظلم الراعي والرعية، وليس هناك من حل إلا في رحمة الله للعالم ببعثة النبي الخاتم.

ثانيًا: الفرق بين معجزة القرآن
وما سبقها من معجزات:

يقول شوقي:

ونودي اقرأ تعالى الله قائلها
لم تتصل قبل من قيلت له بفم
جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم

والمعاني التي يحملها هذان البيتان من شعر شوقي رحمه الله تضمنها حديث صحيح جاء في الصحيحين ألا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

والمعنى أن كلَّ نبي يبعثه الله يؤيده بمعجزات تؤيد دعوته، لكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الكبرى كانت متميزة عن معجزات الأنبياء السابقين لأنها وحي أوحاه الله للنبي، فمعجزات الأنبياء السابقين مثل: «عصى موسى مثلاً، ومعجزات عيسى مثل إحياء الموتى، وشفاء المرضى، وغيره، هذه مما أيده الله به هي معجزات حسية يؤمن بها من يراها في حينها، أما القرآن فهو كلام الله الخالد المحفوظ في الصدور والسطور، والله تولى حفظه إلى يوم القيامة، وهو الآن يُتلى علينا غضًا طريًا كما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وكما قرأه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان لم يتغير منه حرف ولم يتبدل ولن يتبدل.

والقرآن يخاطب العقل والقلب، ويخاطب الكيان الإنساني كله روحًا وجسدًا وعقلاً ووجدانًا، بينما المعجزات الحسية تخاطب الحسَّ فحسب، ولولا حفظ القرآن لها ما عرفناها وما آمنا بها.

والقرآن هو المعجزة والمنهج، فهو يتحدى العرب والعجم، بل الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة، وأكد أنهم لا يستطيعون ولو

كان بعضهم لبعض ظهيرًا، مع كونه بلغتهم التي يرعوا فيها شعرًا ونثرًا وما زال التحدي قائمًا وهو في نفس الوقت كتاب التشريع الذي يحكم علاقة البشر بربهم واخوانهم ودنياهم وآخرتهم وينظم شئون الخلق في الدنيا والآخرة.

وليس معنى ذلك أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم لم تكن له معجزات حسية لا كان له معجزات حسية كثيرة، منها الإسراء والمعراج، ومنها انشقاق القمر، وإعجاز القرآن يكمن في كونه كلام الله، وكلام الله صفة من صفات الله، وصفات الله ليست كصفات البشر: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى:١١).

إذن لا يستطيع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وصدق شوقي حين قال:

ونودي اقرأ تعالى الله قائلها

لم تتصل قبل قيلت له بفم

نعم لم ينادَ على نبي من الأنبياء بهذا النداء العلوي من الله سبحانه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، قال الله تعالى: «وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ» (العنكبوت: ٤٨- ٤٩)، فالرسول عندما طلب منه جبريل عليه السلام أن يقرأ كان صادقًا مع نفسه، فقال: «ما أنا بقارئ». هذه حقيقة، فهو لا يقرأ ولا يكتب، فجاءه الأمر العلوي: «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ» (العلق:١) أي: الذي سيقرؤك هو الله، كما قال له في موضع آخر: «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ» (الأعلى:٧)، فالله سبحانه وتعالى هو الذي علم النبي قراءة القرآن، رغم أميته، فهو الأمي الذي علم المتعلمين.

وعلى هذا فالأمية في حق النبي صلى الله عليه وسلم شرف، وفي حق أمته عيب، فالأمية في حق النبي صلى الله عليه وسلم آية إعجاز ودليل صدق؛ لأنها ترد على من قال: إنما يعلمه بشر، وكذلك ترد على من يدعي تأليف النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن من كتب السابقين، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يقرأ إلا ما أوحاه الله إليه من القرآن أو الحديث، فالقرآن وحي بلفظه ومعناه، والسنة وحي بالمعنى واللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد آتاه الله جوامع الكلم، «وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ» (النجم:٣)، واعلم أن حفظ الله للقرآن يعني استمرار القرآن في هدايته للبشر يعني دخول الخلق في الإسلام مستمر لا ينقطع، وهذا معناه كثرة أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم تحقيقًا لقوله في الحديث: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

ثانيا: حول معنى الآيات:

لا نستطيع في هذه العجالة أن نقف وقفة كاملة حول هذه الآيات العظيمة، لكني أشير إشارة سريعة؛ بينما كان العالم بأسره في درك الظلمات والجاهلية، جاءت هذه الآيات دعوة للقراءة التي هي مفتاح العلم ودعوة للعلم الذي هو الطريق إلى معرفة الله، ثم بناء الحضارة والقراءة، «باسم ربك» معناها: إرساء قواعد الحضارة والعلم على أساس التوحيد ومعرفة الخالق سبحانه؛ حتى لا يجنح بها أتباع الهوى والشيطان إلى مسالك شتى من الانحراف في تطبيق العلم والعمل.

إذن أشرقت شمس الإسلام لتبدد ظلمات الليل الحالك الذي كان يُسدل ستوره على أهل الأرض قاطبة، وجاء النداء العلوي الكريم: «اقرأ» إشارة إلى منهج القرآن الداعي إلى العلم واحترام العقل والنظر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وجعل في ذلك عبرة لأولي الألباب، بينما كانت أوروبا تعيش في حقبة تاريخية عُرفت في التاريخ بالقرون المظلمة، والتي بدأت من القرن السادس الميلادي واستمرت قرابة عشرة قرون.

ثالثا: واجب الأمة تجاه هذا الشرف:

هل قدَّر المسلمون هذه النعمة العظمى حق قدرها، نعمة إنزال القرآن كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ونعمة المَنّ عليهم بالنبي الأمي الذي يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم؛ هذا الرسول الذي أخبر عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة»، وأخبر الله عنه أنه رحمة للعالمين، وقال جل ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الأنبياء:١٠٧).

اللهم ارحمنا رحمة من عندك تغننا بها عن كل ما سواك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رمضان وتربية الأولاد

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

إن من أهم المهمات، وأوجب الواجبات وآكد الأمانات رعاية العبد لأبنائه،

ورمضان أفضل الشهور في الدهور، ففي بيئته الإيمانية تتضافر جميع الجهود لتحقيق مثل هذا الواجب الأسمى وغاية التربية القصوى كما قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣).

الحديث:

عن أبي علي معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

والحديث اتفق عليه الشيخان، فرواه البخاري في (كتاب الأحكام) (باب من استرعي رعية فلم ينصح) ح(٦٧٣١)، ورواه مسلم في (الإمارة) (باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الخائن) ح(٢١)، ورواه في كتاب (كتاب الإيمان) (باب استحقاق الوالد الغاش لرعيته النار) ح(٢٢٧).

الشرح:

وهذا الحديث الذي بين أيدينا يتكلم عن الرعية عموما لذا بوب عليه البخاري باب (من استرعي رعية فلم ينصح) فجعله البخاري عامًّا في أيّ رعية سواء كانت ولاية عامة كالحاكم أو خاصة كالرجل راع في بيته، وكذلك النووي في تبويبه على مسلم جعله مرة في (باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الخائن)، ومرة في (باب استحقاق الوالد الغاش لرعيته النار)، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن عقوبة من ولاه الله ولاية سواء كانت عامة أو خاصة فغش لرعيته، ولم يقم بحقهم جعل عقوبة ذلك النار عندما قال: (إلا حرم الله عليه الجنة) واختلف العلماء في تأويل (تحريم دخوله الجنة على قولين) كما نص على ذلك النووي في (شرحه على مسلم) فقال: (أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُسْتَحِل، وَالثَّانِي حَرَّمَ عَلَيْه دُخُولَهَا مَعَ الْفَائِزِينَ السَّابِقِينَ، وَمَعْنَى التَّحْرِيم هُنَا الْمَنْعُ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّه ، مَعْنَاهُ بَيِّنٌ فِي التَّحْذِير مِنْ غِشّ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ قَلَّدَهُ الله تَعَالَى شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ وَاسْتَرْعَاهُ عَلَيْهِمْ وَنَصَبَهُ لِمَصْلَحَتهمْ فِي دِينهمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ....) انتهى. (ينظر: إرشاد الساري (١٠/٢٢٣)،

شرح النووي على مسلم (٢/١٦٥)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٢/٤٤٨)))

الحديث ورعاية الأبناء

هذا وإن كان الحديث في الرعية عموما إلا أننا نخص منها اليوم رعاية الولد، فهم فلذات الكبد وأمانة علقها الله بأعناقنا وقد قال تعالى: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا» وأول مراتب أداء هذه الأمانة وقايتهم من النار وقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »(التحريم: ٦)، وقد تظاهرت الأدلة القطعية من نصوص رب البرية قرآنًا وسنة شريفة على تأكيد هذا التكليف ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيتة ومسئول عن رعيته» (صحيح البخاري: ٨٥٣).

وإن كان البيت هو المدرسة الأولى لتربية الأبناء وتعبيدهم لرب العالمين والعبودية هي المقصد من هذه التربية إذ إنها المقصد من الخلق، وقد قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات الآية: ٥٦)، إن كان الأمر كذلك فإن حرمانهم منها ظلم وشقاء، يقول ابن القيم رحمه الله في ((تحفة المودود بأحكام المولود ط العلمية (١٨/١٠)):((وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء «. اهـ.

رمضان وتربية الأبناء:

والبيئة الإيمانية الرمضانية العامة داخل البيت وخارجه هي منحة لمراجعة النفس في كل أحوالها ومن أهمها وأوجبها التربية عموما وتربية الأبناء خصوصا، إذ أن أحوال الشهر العبادية خير معين للآباء على هذا الواجب الآكد إذ هو شهر دعاء ودعوة وعبادة وتربية عليها ونيل ثمراتها.

وأول سبيل يعين العبد على هذه المهمة أن يوحد العبد ربه بإفراده بالدعاء، يدعوه تعالى أن يرزقه حسن القصد والعمل ثم التدبير والمعونة على تربية النفس والأهل، ثم الدعاء بالفلاح والنجاح، ومن أعظم ما يعين على التربية: التربية على التوحيد، فيعلم الولد أن لا إله إلا الله فلا معبود بحق إلا هو، وأن محمدًا رسول الله، فلا متبوع بحق سواه، ثم التربية العبادية من صلاة وصيام وقيام، وذكر وتلاوة قرآن، والتفكر في أحوال أهل الإسلام، ومداومة المحاسبة للنفس، يربيه على كل هذا، ثم التربية السلوكية فآية الاتباع وثمرته تخلقه بصالح الأخلاق؛ إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم (وفي رواية صالح) الأخلاق) (السلسلة الصحيحة للألباني ٤٥).

وكذا يعلمه أن هذا المقصد الأسمى يجده في شتى شعائر الدين، وآية ذلك الصيام وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». (البُخاري: ١٩٠٣)؛ إذ إنه من أعظم البواعث على إيقاظ الروح والجسد جميعًا.

قد جاءكم بيان من ربكم:

البيان من رسول الله هو بيان من الله إذ قال الله: (... إن هو إلا وحي يوحى)(النجم ٤٣)، وقد قال رسول الله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه،...الحديث».(مسلم:٤٨٠٩) فالآباء سبب في الحفاظ على نقاء فطرة الأبناء وبقائها على أصل إسلامها، وهذا ما أدركه المسلمون في أول أمرهم منذ عهد الصحابة الكرام، فاعتنوا بأبنائهم بتربية عقولهم وغرس الإيمان في قلوبهم أكثر من اعتنائهم بتربية أجسادهم.

عناية السلف بتربية الأبناء:

وماتع قصصهم وطيب ذكرهم في مثل هذا يملأ تصانيفهم ودووواينهم، ومن ذلك ما تقرأه في مثل: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، والإجمال في تربية الأجيال، وكل ما ذكرت منشور بطبعاته الأصلية على الشبكة العنكبوتية فهو متاح للجميع، ولابن الجوزي في ذلك رسالة صغيرة الكم ماتعة الكيف كتبها لابنه وقد سماها: (لفتة الكبد في نصيحة الولد)، واسمها يعبر عن صدقها، فقلت أطرح بعضها ليشرح الله الصدر إلى كلها وهي متوفرة كأخواتها، يقول رحمه الله - ناصحًا بالحق و مبينًا العلة من الخلق -: (اعلم يا بني- وفقك الله للصواب أنه لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك، وأعمي فكرك، واخل بنفسك، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين يحصيان ألفاظك وأن أنفاس الحي خطاه إلى أجله، ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحبس في القبور طويل، والعذاب على موافقة الهوى وبيل.. فأين لذة أمس؟ رحلت وأبقت ندما وأين شهوة النفس؟ كم نكست رأسًا وأزلت قدمًا!

وما سعد من سعد إلا بخلاف هواه، ولا شقي من شقي إلا بإيثار دنياه. فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد أين لذة هؤلاء، وأين تعب أولئك؟ بقي الثواب الجزيل والذكر الجميل، والقالة القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما جاع من جاع ولا شبع من تشبع..

والكسل عن الفضائل بئس الرفيق، وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة... فانتبه يا بني لنفسك، واندم على ما مضى من تفريطك.. واجتهد في لحاق الكاملين مادام في الوقت سعة، واسق غصنك، ما دامت فيه رطوبة؟ واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عظة، وذهبت لذة الكسل فيها وفاتت مراتب الفضائل....واحذر أن يذهب نفس بغير شيء فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم... واحذر من جليس السوء،...ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

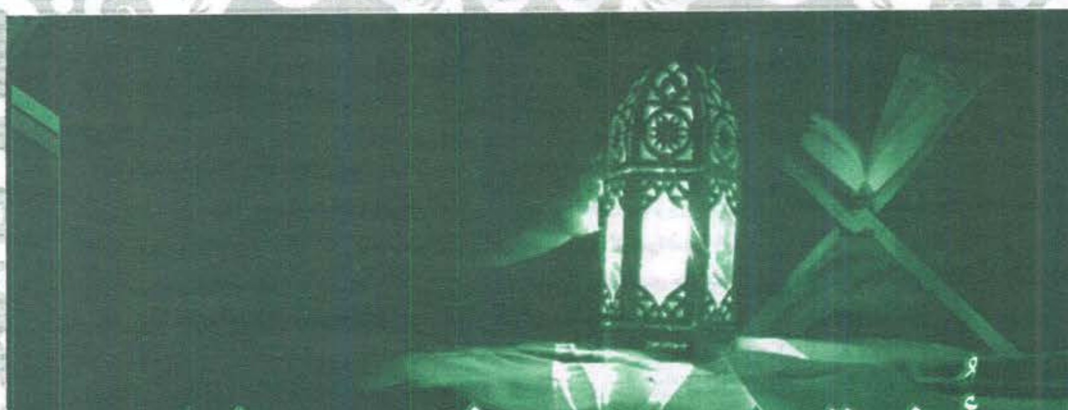
ومتى صحت التقوى رأيت كل خير، والمتقي لا يرائي الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حفظ حدود الله حفظه الله،... واعلم يا بني أن يونس عليه السلام لما كانت ذخيرته خيرا نجا بها من الشدة. قال الله عز وجل: (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الصافات: ١٤٣- ١٤٤). وأما فرعون لما لم تكن له ذخيرة خير لم يجد في شدته مخلصا فقيل له: (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ). فاجعل لك ذخائر خير من تقوى تجد تأثيرها... وكما قيل:

يا من بدنياه انشغل
وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة
والقبر صندوق العمل» ا .هـ.

ثمرة عناية السلف بالتربية

هذا ولما اعتنى سلفنا الصالح بتربية أبنائهم وجدنا بيوتهم مصابيح دجى ومفاريخ علم وتقى، لذا كانت بيوت الصحابة تُخرِّج العلماء من الأبناء، بل ومن الموالي كنافع مولى ابن عمر رضي الله عنهم ومن الكفلاء الذي تربى مع زوج أمه كابن المسيب مع أبي هريرة وعبد الله بن محيريز الفقيه الزاهد المحدث تخرج في بيت أبي محذورة الذي كان زوجًا لأمه بعد موت أبيه (ينظر: افتتاحية مجلة التوحيد عدد بعنوان: (مسئولية الأسرة.. نحو تربية الأبناء) للشيخ صفوت نور الدين رحمه الله).

هذا وإن كان الإعداد للعدد الرمضاني يكون في أول شعبان فإننا نتوسل إلى ربنا الرحمن أن يبلغنا رمضان وأن يرزقنا فيه حسن القصد والإيمان والإحسان إنه خير مأمول وأكرم مسئول، والحمد لله رب العالمين.



أخوة الإيمان وشهر رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

رمضان شهر القرآن، تحقيقٌ للإيمان، ونجاة للإنسان من مكايد الشيطان، فيه تُترك الشهوات، وتُقام الصلوات، وتحفل المساجد بروادها، الجوع فيه عبادة، والإفطار عند الغروب عبادة، والسحور قبل الفجر بركة، موسم جليل للطاعات وتحصيل الحسنات والتوبة النصوح والصفح الجميل.

إعداد/ الشيخ صفوت نور الدين

رحمه الله

أخوة الإيمان علاقة متينة أقوى من أخوة النسب، وأخوة النسب مع ضعيف الإيمان لا تحمي الأخ من قتل أخيه قص الله في القرآن الكريم شأن ابني آدم؛ إذ طوعت النفس الأمارة بالسوء لأحدهما قتل أخيه فقتله، فاحتاج إلى الغراب أن يعلمه كيف يواري سوءة أخيه، وإخوة يوسف ألقوه في جب يريدون التخلص منه حتى يخلو لهم وجه أبيهم، وهذا مصعب بن عمير كان يحمل راية المسلمين في بدر، وأخوه أبو عزيز بن عمير انتقلت إليه راية المشركين في بدر بعد قتل حاملها «النضر بن الحارث»، فلما وقع أبو عزيز أسيرًا كان في يد أنصاري، فقال مصعب للأنصاري: اشدد يديك عليه، فإن أمه ذات متاع عسى أن تجزل الفداء لك فيه، فقال أبو عزيز: أهذه وصاتك بي يا أخي، قال مصعب: إنه أخي دونك.

هذه أخوة الإيمان أكبر من أن يزيلها البغي والعدوان، وأقوى من وقوع الدماء، حيث قال تعالى في سورة «الحجرات» في معرض أمر المؤمنين بالإصلاح، ولو أدى إلى قتال أهل البغي: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (الحجرات: ١٠)، وفي سورة «البقرة» عند قوله تعالى: «فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ» (البقرة: ١٧٨). وذلك في شأن القاتل وولي الدم، فمع وقوع القتل لا تزال بينهما أخوة الإيمان.

شهر رمضان تقيد فيه الشياطين

في شهر رمضان تقيد الشياطين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين».

والصوم يضيق مسالك الشيطان، ويوقظ نوازع الإيمان، فيه يتآخى الناس في نظامهم وهيئاتهم؛ يمتنعون عن الطعام في وقت واحد، ويأكلون في وقت واحد، توسع الاتفاق في

الهيئات يؤدي إلى تعميق أخوة الإيمان والمحبة بين الإخوان؛ لذا أمر المسلم الصائم أن يحافظ على اللسان، فلا ينطق إلا بخير، «من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم».

والمسلم مطالب بالإحسان في قوله في كافة أحواله؛ حتى لا يدخل الشيطان بينه وبين إخوانه بسبب قوله هذا.

قال تعالى: «وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا» (الإسراء: ٥٣)، فالكلمة الطيبة صدقة، والكلمة غير الطيبة مدخل الشيطان، يدخل بسببها فيوقع العداوة بين الإخوان ويستثمرها ليفسد بين المؤمنين، فإن قالوا الكلمة غير الطيبة نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال وأوقع الشر والمخاصمة والقتال، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم.

قال تعالى: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ» (المؤمنون: ٩٦)؛ أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه: (وما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه). فإن الحسنة تحيل العدو صديقًا، وتقود من أساء إليك فواجهت إساءته بالإحسان، قاده إحسانك إلى المحبة والحنو، فيصير كأنه ولي حميم، وهذه الوصية لا يقدر عليها إلا الصابرون وذو الحظ العظيم.

لذا أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم.

دعوة الأنبياء:

بعث الله الأنبياء والرسل يدعون الناس لعبادة الله وحده لا شريك له، هذه هي دعوة جميع الأنبياء، هي دعوة التوحيد، دينهم واحد؛ دين الإسلام، قال تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ» (الأعراف: ٥٩)، وقال: «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ» (الأعراف: ٦٥)، وقال: «وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ» (الأعراف: ٧٣)، وقال: «وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ» (الأعراف: ٨٥).

ودينهم جميعًا دين الإسلام، فنوح عليه السلام يقول: «إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (يونس: ٧٢)، وهو دين إبراهيم وبنيه: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (البقرة: ١٢٨)، حتى قال: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣١- ١٣٦).

وفي شأن بلقيس وسليمان عليه السلام: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (النمل: ٤٤).

وفي شأن محمد صلى الله عليه وسلم: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» (الزمر: ١١، ١٢).

ثم كان الدعاة من الصحابة وأئمة الهدى من بعدهم على دين الإسلام ودعوة التوحيد، التي هي دعوة كل الأنبياء والمرسلين، بها يدعون الناس ويحذرون من الشرك، كل ذلك والشيطان لا ينفك يدعو إلى إضلال الناس وإغرائهم بالشرك والبدع والضلالات والخرافات، حتى عم الشرك والبدع والمخالفات بلاد المسلمين، فرفعت القبور وبنيت عليها المساجد، وشد الناس الرحال إليها، وعملوا المحافل والأعياد حولها، ونذروا لها وذبحوا لغير الله رب العالمين، ودعوهم من دون الله وسألوهم الشفاء والدواء وطلبوا منهم ما لا يطلب إلا من الله العزيز الحكيم.

دعوة العلماء!!

لما شبت نار البدعة والخرافة والشرك في الناس قام جماعة من العلماء وطلبة العلم والدعاة فشمروا عن ساعد الجد ليطفئوا نار هذه البدع والخرافات، وينبهوا الناس إلى التمسك بالسنة والعمل بالتوحيد، وَجدوا الناس قد انغمسوا في الشرك والبدعة، حتى صارت البدعة تمثل محورًا في حياتهم تدور عليه كثير من مناحي الحياة، فالمساجد بنيت على القبور ووضعت بها صناديق النذور وجعلت اللجان وقسمت الأنصبة، ووضعت القوانين لتنظيم الطرق الصوفية، وأجريت عليهم العطاءات وطبعت الكتب وصنفت القصائد، وأخذ المسئولون ينظمون الطواف حول القبور وليس من مستنكر ولا داع يحذر من ذلك. قام جماعة من طلبة العلم والدعاة بالتحذير من ذلك، وبيان ضرورة إزالة هذه البدع، فكانت المواجهة عنيفة بين طرفين غير متكافئين، حيث وجدوا أمامهم مواجهات متعددة، يرمونهم مرة بالتكفير والتفسيق والتبديع، فيقولون: وهابية، ويقولون: خامسية، ويقولون: يكرهون الأولياء ويكرهون القرآن، وغير ذلك، ويستعين أصحاب البدع في حربهم بالعادة والعرف، وما عليه الآباء والأجداد، ويستشهدون بسكوت العلماء وترخيص الجهات الرسمية لهذه المحافل والموالد الشركية والبدعية.

وجد المصلحون أن الأمر شديد، وأن الجبهات متعددة، فكان أن رتبوا الأخطار والأضرار والمفاسد والشرور، فكانت عنايتهم بالشرك أشد من غيره لإزالته؛ لأنه الذنب الذي لا يُغفر، والذي لا يجعل صاحبه يستغفر من الشرك، وهو الذي يحبط سائر العمل، فسكتوا عن بعض البدع لا إقرارًا لها، ولكن انشغالاً عنها وتأجيلاً، وتركوا بعض المعاصي لظهور الخطأ فيها وعلم كافة الناس بها، ولأن الجماعة الواحدة عندما تجدهم على الشرك والبدعة والمعصية فيصعب أن تكلمهم في كل ذلك مرة واحدة، يصعب الأمر ويبعد الانقياد، وهكذا كانت دعوة الرسل لأممهم لما رأوا فيهم من المخالفات الكثيرة والمعاصي العديدة، كانت البداية معهم بالنهي عن الشرك والأمر بالتوحيد، فدعوا الناس أن يقولوا: لا إله إلا الله، فلما دانت لها القلوب، انصاعت لها كل المناهج والاتجاهات.

ومن الأمثلة في الدعوة المعاصرة لبعض شيوخ التوحيد أن كانت بعض القرى تجاور مصنعًا للدخان يعمل معظم رجالها في صناعة الدخان، دعاهم بعض الشيوخ إلى التوحيد فدخلوا في دعوة التوحيد وصعب على المصلحين أن يوجهوهم لترك تلك الأعمال، فلم يكن سكوتهم عن عمل بعضهم من قبيل الرضا والإقرار، إنما كان من قبيل العناية بالتوحيد حتى إذا دانت له القلوب استجابوا لما دونه، ولعل المراجع لما كتبه ابن القيم في كتابه القيم «أحكام أهل الذمة» في شأن المرأة المشركة تحت الرجل الكافر عندما لا تطيب نفسها بترك زوجها وولدها وترغب في الإسلام هل تترك على الشرك الأكبر أم تدعى للإسلام، من راجع ذلك عرف أن الداعية قد يترك بعض المسائل، وهو غير مقر لها ولا راض عنها.

لذا كانت دعوة هؤلاء الشيوخ الكرام تتركز في الدعوة إلى التوحيد، فلما كان المعارضون يستدلون عليهم بما عليه الناس وسكوت العلماء، كانوا يرجعونهم إلى القرآن والسنة، وأنهما هما الحكم على كل أحد، فلا يجوز التحاكم لغيرهما، فلما رأى أهل البدع ذلك حاولوا أن يجدوا لهم دليلاً في أحاديث مكذوبة وباطلة، فجعل العلماء يقصرون الاستدلال بما اتفقت عليه الأمة من الصحيح وهو البخاري ومسلم، ويتركون ما عداه، لا ردًا له، ولا إنكارًا لصحته، ولكن إذا كنت تستدل بحديث صحيح في كتاب ثم يستدل غيرك عليك بحديث باطل في نفس الكتاب، يصبح من الصعب عليك أن تدحض حجته، وتقول له: إنهم جمعوا الأحاديث تبعًا لقاعدة «من أسند لك فقد أحالك»، من هذا القبيل جاء تصنيف الشيخ عبدالعزيز بن راشد رحمه الله لكتابه «تيسير الوحيين بالاقتصار على البخاري ومسلم»، فلم يكن إنكارًا لكل ما سواهما، ولا ادعاءً للعصمة لهما، إنما هو حصر المهمة وتيسير الإقناع لما

عرفه القاصي والداني والعالم والعامي من صحة الكتابين.

هذا كله يعني وقوع بعض الأخطاء وترك بعض الأمور.

ولما كانت الدعوة ليس مرجعها في شيوخها، إنما في قول الله عز وجل: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (النساء: ٦٥)، وفي قوله تعالى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » (الأحزاب: ٢١)، وقوله عز وجل: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ » (النساء: ٦٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ».

لذا فإن حوارًا حدث بين الدعاة والشيوخ، إما في مجالس ضيقة، أو أحيانًا في كتابات ورسائل متبادلة، طبع بعضها فوصل إلى القراء، ومرت عليه سنوات، فإذا وقعت حلقة من هذه الحلقات في يد مسلم فقرأها لم يستكمل معرفة ما حدث بين الشيوخ، من ذلك ما حدث بين الشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ أحمد محمد شاكر، وكتب الشيخ شاكر في ذلك رسالة عنوانها: «بيني وبين الشيخ حامد الفقي»، ثم اجتمع الشيخ حامد مع الشيخ شاكر في دار الجماعة، وتم توضيح الخلاف، ونشر ذلك في مجلة الهدي النبوي- لسان حال الجماعة وقتئذ- بقلم كل واحد من الشيخين، وتم الصفاء وتوضيح الصورة، ثم قامت دار نشر بعد نصف قرن بطباعة الرسالة التي كتبها الشيخ شاكر دون ما تم من تكملة في مجلة الهدي النبوي، فكانت بذلك الصورة مبتورة.

أقول هذه الكلمات مذكرًا بنعم الله عز وجل علينا؛ أن ورثنا نتاجًا طيبًا ودعوة صالحة بذل فيها السابقون جهودًا مضنية، فصرنا ندعو بغير نكير، نجد من أثر دعوتهم الخير الكثير ولا نعاني من ضر ولا أذى، كالذي وجدوه، بل نجد على ذلك أعوانًا؛ **لذا فإنني أذكر ونحن في شهر الصوم الكريم بمسائل هامة:**

١- دعوة التوحيد، من حرص عليها كان مع دعاتها من الأنبياء والأولياء والأئمة الصالحين، فليكن رائدنا الإخلاص لله تعالى، وبذل الجهد رجاء الفوز بالجنة في الآخرة.

٢- أن المرجع عند الخلاف ليس شيوخنا، إنما علمونا أن المرجع في القرآن والسنة بفهم أهل القرون الثلاثة الأولى التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية.

٣- أن الحوار والنقاش أمر ضروري، لكن ينبغي أن يكون بالتي هي أحسن؛ حتى لا ندع الشيطان ينزغ بين القائمين بالدعوة فيفرقهم فيضيعوا حتى وإن نجا بهم غيرهم، وهذا غاية الخسران، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذه المسألة آمل ونحن في شهر رمضان أن نبتهل إلى الله أن يحمينا منها؛ لأنها مرض هذه الأمة، كما جاء في حديث جابر عند مسلم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». فتكون أقوالنا وكتاباتنا كما أمر ربنا سبحانه: « وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا » (الإسراء: ٥٣).

٤- الكلام في ذلك يطول، ولكن اختصرته اختصارًا شديدًا، حيث لا يتسع المقام، فالإشارة تغني عن العبارة، وأخوة الإيمان فوق سائر العلاقات، فهي تربط بين المتباعدين، فنحن نحب نوحًا عليه السلام، ونكره امرأته، كذلك نحب إبراهيم عليه السلام ونكره أباه، وكذلك نحب لوطًا، ونكره امرأته، ونكره فرعون ونحب امرأته، ونحب إخواننا المسلمين المجاهدين في آفاق الأرض البعيدة، ونتضامن معهم، فكيف بإخواننا الذين تلتصق أقدامنا مع أقدامهم في صف الصلاة.

هل من أخوة الإسلام أن نغلظ لهم القول أو نحمل لهم الشر أو نتركهم للأهواء أو نثير بينهم العداوة والبغضاء؟ إن الله سائلنا عن كل ذلك، فينبغي أن نبرأ لله سبحانه من كل ذلك بالقول والعمل ونجتهد لجمع كلمة دعاة التوحيد والذب عنهم، نأخذ بيد إخواننا لندخل في رضوان الله وطاعته حتى ننال جنته.

وهذا رمضان شهر الصيام والقيام والإخاء، أسأل الله الكريم سبحانه أن يجمع قلوبنا على التوحيد، وأن ينزع الشيطان من بيننا، إنه على كل شيء قدير.

والله من وراء القصد.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٤٧)

إعداد/ علي حشيش

٤٣١- «إن الله تعالى ليس بتارك أحدًا من المسلمينَ صبيحةَ أولِ يومٍ مِن رمضان إلاَّ غَفَرَ له».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٥/٩١/٢٤٨٧) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته زياد بن ميمون، قال الذهبي في «الميزان» (٢/٩٤/٢٩٦٧): «ويقال له زياد أبو عمار البصري، وزياد بن أبي عمار، وزياد بن أبي حسان، يدلسونه لئلا يعرف في الحال. قال الليث بن عبدة: سمعت ابن معين يقول: زياد بن ميمون ليس يسوي قليلاً ولا كثيرًا، وقال مرة: ليس بشيء، وقال يزيد بن هارون: كان كذابًا، وقال البخاري: تركوه، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، قلت: وعلة أخرى: سلام الطويل قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٢): سلام بن سليم السعدي الطويل: تركوه». اهـ.

وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٣٧): «متروك الحديث».

وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٥٣٠) (ح٨٧٦) قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزار عن الخطيب البغدادي به، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناه آنفًا وأقرها.

٤٣٢- «ليس مِن امرأةٍ تحملُ حملاً إلاَّ كان لها كأجر الصائم المخبتُ، فإذا وضعت كان لها بكل رضعةٍ عتْقُ رقبةٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/١٨٠) (ح٥٣٧٣)، والخطيب البغدادي في «التاريخ» (٢/٣٢٧/٤٨٨٤) من حديث أنس مرفوعًا في قصة طويلة لامرأة بالمدينة عطارة أوردها السيوطي في «اللآلئ» (٢/١٦٩)، وعزاها إلى الخطيب والطبراني وذكر متنها كاملاً وعلتها زياد بن ميمون الكذاب، وقد بينا أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه آنفًا وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٩٤/٢٩٦٧) وقال: هذا حديث منكر.

فائدة: قلت: وفي هذا الحديث وسابقه من الصناعة الحديثية أن الإرسال خفي وقد بينه الإمام ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٩٥) قال في «المسألة: ٢١٩»: زياد بن ميمون ذكره أبي، حدثنا محمود بن غيلان، قال: قلت لأبي داود الطيالسي: زياد بن ميمون؟ فقال: لقيته أنا وعبد الرحمن بن مهدي: فسألناه، فقال: عدّوا أن الناس لا يعلمون أني لم ألق أنسًا، ألا تعلمان أني لم ألق أنسًا. اهـ. ولقد أخرج هذا مفصلاً الإمام العقيلي «الضعفاء الكبير» (٢/٧٧/٥٢٦)، أورد هذا الحديث الدارقطني

في «العلل» (٣٨٠٤)، وبين أنه باطل، وذكر ما بيناه آنفًا عن أبي داود الطيالسي وعبد الرحمن بن مهدي وأقره.

٤٣٣- «المعتكفُ يتبعُ الجنازةَ، ويعودُ المريضَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح١٧٧٧) من حديث عنبسة بن عبد الخالق عن أنس مرفوعًا، وفيه عنبسة قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: كان يضع الحديث، وقال البخاري: تركوه، وقال النسائي: متروك، وقال أبو الفتح الأزدي: كذاب، كذا نقله الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/٤٣٦/٥١٢١).

٤٣٤- «إنَّ الله تعالى أوحى إلى الحفظةِ لا تكتبُوا على صوام عِبادي بعد العصرِ سيئةً».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٦/١٢٤/٣١٥٢) من حديث أنس وعلته إبراهيم بن عبد الله بن أيوب الدقاق المخزومي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٤١/١٢٦) قال الدارقطني: ليس بثقة حدث عن الثقات بأحاديث باطلة وأورد له هذا الحديث من مناكيره ثم قال الدارقطني: هذا حديث باطل. اهـ.

٤٣٥- «مَنْ أفطر على تمرةٍ من حلالٍ زيد في صلاته أربعمائة صلاةٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/٣٥١) (٢١٤/١٨٣٥) من حديث أنس مرفوعًا وفيه موسى بن عبد الله الطويل، قال ابن عدي يحدث عن أنس بمناكير، قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٤٣): روى عن أنس أشياء موضوعة كان يضعها لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل التعجب، وأورد له هذا الحديث ثم قال: وروى عن أنس نسخة موضوعة مثل هذا الحديث أكره ذكرها لشهرتها عند من هذا الشأن صناعته. اهـ.

٤٣٦- «مَنْ أفطر يومًا من شهر رمضان في الحضر فليهد بَدَنَةً، فإن لم يجد فليُطعم ثلاثين صاعًا من تمر للمساكين». اهـ.

الحديث لا يصح: أخرجه الدارقطني في «السنن» (٢/١٩٠) (ح٢٢٧٦) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا، ونقله الذهبي في «الميزان» (١/٦٣٦/٢٤٤٨) وقال: «هذا حديث باطل يكفي في رده تلاف خالد- وهو ابن عمرو السُّلفي الحمصي وشيخه ضعيف- وهو الحارث بن عبيدة الكلاعي- ومقاتل ليس بثقة وهو مقاتل بن سليمان». وقال الذهبي: خالد بن عمرو كذبه جعفر الفريابي، ووهاه ابن عدي. اهـ.

٤٣٧- «لو أذن الله تبارك وتعالى لأهلِ السماءِ وأهلِ الأرض أن يتكلموا لبشروا صُوَّام رمضان بالجنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/٦٨/١٠٣٢) من حديث أنس مرفوعًا، وفيه عبد السلام بن عبد الله المذحجي، قال العقيلي: إسناده مجهول غير محفوظ، وقال الذهبي في «الميزان» (٢/٦١٦/٥٠٥٢): عبد السلام عن أبي عمرو عن أنس لا يدر من هو ولا من شيخه. اهـ.

٤٣٨- «لا يدخلُ ملكوت السماءِ مَن ملأ بطنه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣/٧٨) بصيغة الجزم من حديث ابن عباس مرفوعًا، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً».

منبر الحرمين

رمضان والرجوع إلى الله

الشيخ الدكتور
إعداد/ علي بن عبد الرحمن الحذيفي
إمام المسجد النبوي



الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والمُلك الذي لا يُرام، والعزّة التي لا تُضام، أحمدُ ربي وأشكرُه على عظيم الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلكُ وله الحمدُ الملكُ القدوسُ السلام، وأشهد أن نبيَّنا وسيِّدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه أفضل من صلّى وصام، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته الكرام.

أما بعد: فاتقوا الله في كل الأوقات؛ تفوزوا برضوان ربِّكم والجنات.

أيها المسلمون:

احذَروا الغفلةَ فإنها مُهلكة، وإياكم وتأخيرَ التوبة فإنّ الأمانيَّ الباطلةَ مُردية، وقد تفضّل الله على خلقه بالنِّعم الظاهرة والباطنة؛ فأمّا المؤمنون فقد شكروها، وأما أعداء الله فقد كفروها؛ قال الله تعالى: (وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (لقمان: ١٢).

وما شرعَه الله من عبادات وفرائض، وما حرَّمه من مُحرَّمات، وما زجرَ عنه من المنهيّات تكريمٌ من الربِّ للمُكلفين، وطهارةٌ وزكاة، وإعدادٌ للمُكلَّف، وتأهيلٌ للعبد ليكون خالدًا في جنات النعيم، مع (النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا) (النساء: ٦٩، ٧٠).

والله- جل وعلا- طيبٌ لا يقبلُ إلا طيبًا؛ قال الله تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل: ٣٢)، وقال تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة: ٦)، وقال- تبارك وتعالى-: (وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (فاطر: ١٨).

وقال- عز وجل- في الحديث القُدسي: «يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها

لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجدَ خيرًا فليحمَد الله، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»؛ رواه مسلمٌ من حديث أبي ذرٍّ- رضي الله عنه-.

والمؤمنون طابَت أعمالهم، فطابَت أحوالُهم ومآلُهم؛ قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

والتوحيدُ لله الخالص هو الذي يُطهِّر العبد، ويُزكي الأعمال، ويُصحِّحها ويُضاعفها، ويُطيِّبُها، وجميعُ الصالحات تبَعٌ لتوحيد الله في العبادة.

ومن ظلَمَ نفسَه بالشرك في العبادة، والبدع المُضادَّة لدين الله، والنفاقَ الباطل الذي يُبغِضُ صاحبُه أحكامَ القرآن والسنة لا ينفعُه عمل صالحٌ، ولا يدخلُ الجنةَ إلا أن يتوبَ إلى ربِّه تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٠).

وقال تعالى عن المُنافقين: ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (التوبة: ٩٥).

وعن أبي هُريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-: «يلقَى إبراهيمُ- صلى الله عليه وسلم- أباه يوم القيامة، وعلى وجهه قتَرة، فيقولُ له: ألم أقُل لك: لا تعصني، فيقول: اليوم لا أعصيك، فيقولُ إبراهيم: ربِّ قد وعدتَني ألا تُخزيَني، وأيُّ خزيٍ أعظمُ من أن يدخُل أبي النار؟! فيقولُ الله تعالى: يا إبراهيم! إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين، فيُلحُّ على ربِّه، فيمسخُ الله أباه ذيخًا- يعني: ضبُعًا-، فيلتفتُ إليه ويُقال له: أهذا أبُوك؟ فيقولُ: لا، فتطيبُ نفسُ إبراهيم- عليه الصلاة والسلام-، فيُؤخذُ بقوائمه ويُلقَى في النار» (رواه البخاري).

فالشفاعة لا تكونُ إلا للمُوحِّدين، وإن كانوا قد ارتكَبَ بعضُهم كبائر.

مقاصدُ العبادات في الإسلام

والعباداتُ شُرِعَت لحِكَم عظيمة، ومقاصد جليلة عالية، فإن أثمرَت تلك العبادات، وتحقَّقَت حِكَمُها ومقاصدُها في المكلَّف نفعَت صاحبَها أعظمَ النفع، وإن خلَت العباداتُ من الحِكَم التي شُرِعَت لها كانت حُجَّةً على صاحبها.

فضائل شهر رمضان

والصيامُ شُرِع للتقوَى، والإحسان إلى النفس، والإحسان إلى الخلق، وقد جمعَ الله في هذا الشهر المبارَك مُضاعفَةَ الصلوات المفروضَة، والتطوُّع في السُّنَن بكثرة النوافل ليلاً ونهارًا، والزكاةَ لمن جعل وقتًا لزكاة ماله، والنفقاتِ في أبواب الخير، وفتحَ فيه بابَ الإحسان والمعروف، وشرعَ فيه العُمرةَ لمن تيسَّر له.

وخصَّه بنزول القرآن الكريم، وشرحَ فيه الصدورَ لتدبُّر القرآن، وذلَّل فيه الألسُنَ بكثرة التلاوة، وحفظَ فيه الأمةَ من مرَدَة الشياطين، فلا يصلُون إلى مُبتغاهم من الإفساد والفتن والشرِّ في هذا الشهر مثلَ فسادهم في غيره.

وتفضَّل الله فيه بإجابة الدعاء للصائمين؛ عن عُبادة بن الصامت- رضي الله عنه-، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «أتاكم رمضان شهرُ بركة، يغشاكم الله فيه فيُنزل الرحمة، ويستجيبُ فيه الدعاء، ينظرُ الله إلى تنافُسكم فيه، ويُباهي بكم ملائكتَه، فأرُوا الله من أنفُسكم خيرًا؛ فإن الشقيَّ من حُرم فيه من رحمة الله» (رواه الطبراني، ورواتُه ثقات).

أبواب الأجر في شهر رمضان

ورمضانُ شهرٌ عظيمُ البركات في جميع الأوقات، فلا تغفُل فيه- أيها الصائم- عن إيداع الحسنات في تلك الساعات، فما مضَى من الزمن لا يعُودُ إلى يوم القيامة.

وحاسب نفسَك في المال الذي آتاك الله- عز وجل-، فجنِّبه المُحرَّمات والشُّبُهات؛ فالمأكلُ الحرام يمنعُ قبولَ الدعاء والأعمال الصالحات، وطهِّر مالَك- أيها المسلم- بالزكاة؛ فمن لم يُزكِّ مالَه كان عذابًا له، وشرًّا له، يسعَى لجمعه، ويتمتَّعُ به مَن بعدَه، وعليه وزرُه!

عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «ما من صاحب كنزٍ لا يُؤدِّي زكاتَه، إلا مُثِّل له شُجاعٌ أقرَع- أي: ثُعبانٌ-، فيأخذُ بلهزمَتيه- يعني: شدقيه- ينهشه، ويقول: أنا مالُك، أنا كنزُك» (رواه البخاري ومسلم).

والزكاةُ عبادةٌ للربِّ تعالى، وحقٌّ للفقراء، لا تسقُط بحال، والنفقاتُ الواجبة والمُستحبَّة يُضاعَفُ ثوابُها في هذا الشهر وفي غيره، وفي هذا الشهر أعظم.

وأيُّ كرمٍ وفضلٍ أعظَم من كرم الله وجُوده وفضله؛ فقد أعطاكَ الله المالَ، ورضيَ منك بمقدار الزكاة وهو قليل، تُخرجُه من المال رُبع عُشره؛ ففي

المليون خمسةٌ وعشرون ألفًا، وما دُون ذلك وما فوقَ ذلك فبحسابه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، ولو أدَّى الأثرياءُ الزكاةَ ما بقيَ فقير.

ولتكن عنايتُكم بالذكر أعظمَ عناية، فهو أفضلُ الأعمال، والقرآنُ أفضلُ الذكر، وقد كان رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- يخُصُّ القرآنَ بزيادة التلاوة في رمضان، وقد كان جبريل يُدارسُه القرآنَ فيه، كما ثبتَ في «الصحيحين».

والمناسبةُ ظاهرةٌ لمن تدبَّرها؛ فالطعامُ والشرابُ غذاءُ البدن، والقرآنُ والذكرُ غذاءُ الروح، والصومُ يُقوِّي سُلطانَ الروح، فيرقَى المسلم في درجات العبادة والفضائل، بالقرآن والذكر والأعمال الصالحة.

يا باغي الخير أقبل

فسارعوا- رحمكم الله- إلى كل الخيرات، في هذه الأوقات، ولا يزهدنَّ أحدٌ في فعل خير، وإن كان قليلاً؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ (النساء: ٤٠).

ولا يحقرنَّ أحدٌ معصيةً ولو كانت صغيرة؛ فإن لها طالبًا وكتابًا حافظًا، وكم من هالك بالتهاوُن بالصغائر؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨).

وفي الحديث: «إياكم ومُحقَّرات الذنوب؛ فإنهن يجتمعن على المرء حتى يُهلكنَه».

قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

عباد الله!!

بُشراكم بما لهذه الأمة من الخير العَميم، والأجر الكريم في هذا الشهر العظيم؛ فمن صامَه غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قامَه غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قامَ ليلةَ القدر غُفر له ما تقدَّم من ذنبه. صحَّت بذلك الأحاديث.

الله أكبر، وسبحانَ الله! ما أعظمَ هذا الثواب من الملك التواب! قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

شهر رمضان ووحدة الأمة

ومع هذه الفضائل والمسرَّات يُحزن المسلمَ ما يرى في الأمة، من التفرُّق والاختلاف، وكثرة الفرَق التي تُسيءُ إلى الإسلام، وتجتهدُ في تغيير عقيدته الصافية النقيَّة المُضيئة، وتبديل أحكامه، ولكن الخيبةَ والخذلان كتبَها الله لمن حاربَ الدينَ.

فاعرف الحقَّ- أيها المسلم- تعرف أهلَه لتكون معهم؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

واعرف الباطل وأهلَ البدع تكن مُجانبًا لهم، ومُجاهدًا للباطل والبدع.

وقدرُ هذه الأمة نُصرةُ الحقِّ ودحرُ الباطل في كل زمان ومكان؛ وفي الحديث: «لا تزال طائفة من أمَّتي على الحقِّ ظاهرين، حتى يأتي أمرُ الله» (رواه مسلم).

وعلى الأمة التوبةُ إلى الله، والرُّجوعُ إليه؛ ليكشف الله ما بها من البلاء.

وعلى كل مسلم أن يُخلص الدعاءَ لعامَّة المسلمين وأئمَّتهم، ويُشركهم في الدعاء مع نفسه. وأن يُصلح أحوالَ المسلمين في كل مكان.

فرمضان من أسباب رفع البلاء، وحُلول الخير والسرَّاء.

عباد الله!!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقد قال- صلى الله عليه وسلم-: «من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه بها عشرًا»، فصلُّوا وسلموا على سيِّد الأولين والآخرين، وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، إنك حميدٌ مجيد، وارض اللهمَّ عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم وارضَ عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن سائر أصحاب نبيِّك أجمعين، اللهم وارضَ عنَّا معهم بمنِّك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل بلادَنا آمنةً مُطمئنَّةً يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم اشرَح صُدورنا، ويسِّر أمورَنا، واغفر ذنوبَنا، اللهم اغفر لموتانا وموتى المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين، اللهم اغفر لهم ونوِّر عليهم قبورَهم.

الإلمام بضوابط فقه الصيام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ونحن مقبلون على شهر الصيام الكريم أردت أن أذكر نفسي والمسلمين ببعض الضوابط التي وضعها العلماء فيما يتعلق بفقه الصيام، وهذه القواعد مهمة في الفقه، عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظُم قدرُ الفقيه ويشرُف، ويظهر رونق الفقه ويُعرَف، وتتضح مناهج الفتاوى وتُكشف، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات، لاندراجها في الكليات، ولهذا قيل: «الفقه معرفة النظائر» (الفروق للقرافي ٣/١).

إعداد/ حمدي طه

والقاعدة: الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها». والفرق بين القاعدة الفقهية، والضابط الفقهي، أن القاعدة تشمل فروعًا من أبواب متعددة من أبواب الفقه. أما الضابط فيشمل فروعًا من باب واحد من أبواب الفقه. (الأشباه والنظائر لتاج الدين السبكى ٢١/١). وإليك أسوق تلك الضوابط

الضابط الأول: لا يثبت دخول رمضان وخروجه إلا بالرؤية أصلاً أو الإتمام بدلاً. فالعبرة في بدء الصيام بأحد أمرين:

الأول: رؤية الهلال. والثاني: إكمال عدّة شعبان ثلاثين يوماً إذا لم يُرَ هلال رمضان. (إرشاد الصيام لعبد الرحمن السحيم ص٢١).

والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) صحيح البخاري.

والشاهد قوله: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، إذاً لا يثبت دخول شهر رمضان وخروجه إلا بالرؤية، وهي العلامة الأصلية وهي أقوى العلامات، فيجب الصوم برؤية هلال رمضان بإجماع المسلمين، وكذلك يجب الفطر برؤية هلال شوال إجماعاً، والشاهد من قوله عليه الصلاة والسلام: (فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) إن تعذرت الرؤية فقد تعذر حينئذ الأصل، وقد تقرر في القواعد أنه إذا تعذر الأصل يُصار إلى البدل، والعلامة البدلية الشرعية للرؤية هي كمال شهر شعبان ثلاثين يوماً، هذا في إثبات الدخول، وإكمال شهر رمضان ثلاثين يوماً هذا في إثبات الخروج. (ضوابط الصيام الفقهية لوليد السعيدان ص٢).

الضابط الثاني: لا يصح صوم الفرض إلا بنية من الليل:

والأصل في ذلك ما ثبت عن حفصة رضى الله عنها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من لم يُبيِّت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»، وفي لفظ: «من لم يُبيِّت الصيام من الليل فلا صيام له» (صحيح الجامع للألباني ح(٦٥٣٥)). (الإلمام بشيء من أحكام الصيام للراجحي ص٦).

واختلفوا في تبييت نيته على ثلاثة أقوال:

فقالت طائفة منهم أبو حنيفة إنه يجزئ كل صوم فرضًا كان أو نفلاً بنية قبل الزوال، وطائفة أخرى منهم مالك قالت: لا يجزئ الصوم إلا مبيتًا من الليل فرضًا كان أو نفلاً، وأما القول الثالث فالفرض لا يجزئ إلا بتبييت النية، وأما النفل فيجزئ بنية من النهار؛ توسيعًا من الله على عباده في طرق التطوع؛ فإن أنواع التطوعات دائمًا أوسع من أنواع المفروضات، وهذا أوسط الأقوال وهو قول الشافعي وأحمد (القواعد النورانية الفقهية لابن تيمية ص١٢٧).

الضابط الثالث: مفسدات الصوم توقيفية:

العبادات الأصل فيها المنع إلا إذا أذن بها الشرع، ودليل ذلك قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ» (الشورى:٢١)، وقول النبي- صلى الله عليه وسلم-: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». (ملخص القواعد الفقهية للعثيمين ص٤).

فإذا كان هذا في أصل العبادة فكذلك في بطلانها؛ فالأصل أن كل عبادة انعقدت بدليل شرعي فلا

يجوز إبطالها إلا بدليل شرعي آخر، وذلك لأن العبادات التي يقوم بها العبد على مقتضى الشرع الأصل فيها الصحة حتى يقوم دليل من الشرع على أنها فاسدة. هذه قاعدة متفق عليها بين العلماء؛ لأن الأصل أن ما وقع صحيحاً، فهو صحيح، حتى يقوم دليل على فساده. (جلسات رمضانية للعثيمين ٢/٣٧).

فالأصل هو عدم الإبطال فمن ادعاه فعليه الدليل، فباب إبطال العبادات باب توقيفي على الدليل، فالصوم قد ثبت فرضيته بالدليل الشرعي وثبت بالدليل أنه ينعقد بالنية من طلوع الفجر، فإذا انعقد فلا يجوز لأحد أن يدّعي بطلانه بقول أو فعل إلا وعليه دليل صحيح صريح، وإلا فالأصل عدم المبطل، فمن ذلك تعرف خطأ من يفطر الصائم بالحناء في الرجل أو بقطرة الأذن والعين وبالحقن غير المغذية إذا وجد طعم ذلك في حلقه لعدم الدليل، وتعرف خطأ من يفطره بالغيبة والقبلة والمذي وبالإغماء، وبشم الروائح الزكية وبذوق الطعام وبلع النخامة والريق ونحوها، كل ذلك يدّعي البعض أنه من المفطرات، والصواب أنه ليس منها لعدم الدليل. (تلقيح الافهام العلية١/٩١).

الضابط الرابع: لا يؤثر مفسد الصوم إلا بذكر وعلم وإرادة:

القاعدة: لا يؤثر فعل المنهي عنه إلا بذكر وعلم وإرادة، وهذا الضابط متفرع عن تلك القاعدة، وبيانه أن يقال: إن مفسدات الصوم لا يترتب عليها أثرها إلا إذا توفر في مرتكبها ثلاثة شروط، بحيث إذا اختل شرط فإنه يتخلف الأثر، ونعني بالأثر هنا أموراً: إفساد الصوم والقضاء والإثم والكفارة فيما تجب فيه الكفارة (ضوابط الصيام الفقهية: لوليد السعيدان ص٣١).

الشرط الأول: العلم وضد العلم الجهل، والجهل ينقسم إلى قسمين:

١- جهل بالحكم الشرعي، أي: لا يدري أن هذا حرام.

٢- جهل بالحال، أي: لا يدري أنه في حال يحرم عليه الأكل والشرب، وكلاهما عذر.

والدليل جميع الآيات التي فيها أن الله لا يكلف نفساً إلى وسعها والا ما آتاها، وأنه لم يحمّلنا جل وعلا ما لا طاقة لنا به، كل ذلك دليل على اشتراط العلم لثبوت التكليف؛ لأن التكليف بما لا يعلم خارج عن وسع النفس. (الشرح الممتع للعثيمين ٦/٣٨٨)

وهناك دليل خاص في هذه المسألة للنوعين من الجهل:

أما الجهل بالحكم، فدليله حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه «أنه أراد أن يصوم وقرأ قول الله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ» (البقرة: ١٨٧) فأتى بعقال أسود، - حبل تربط به يد البعير - وأتى بعقال أبيض، وجعلهما تحت وسادته، وجعل يأكل وينظر إلى الخيطين حتى تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود» أخرجه البخاري (١٠٩٠) فهذا أخطأ في فهم الآية؛ لأن المراد بها أن الخيط الأبيض بياض النهار، والأسود سواد الليل، ولم يأمره بالقضاء؛ لأنه جاهل لم يقصد مخالفة الله ورسوله فعذر بهذا.

وأما الجهل بالحال: فدليله ما ثبت في الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما - قالت: «أفطرنا في يوم غيم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم طلعت الشمس» فأفطروا في النهار بناءً على أن الشمس قد غربت فهم جاهلون، لا بالحكم الشرعي ولكن بالحال، ولم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقضاء، ولو كان القضاء واجباً لأمرهم به، ولكن من أفطر قبل أن تغرب الشمس إذا تبين أن الشمس لم تغرب، وجب عليه الإمساك، لأنه أفطر بناءً على سبب، ثم تبين عدمه (الشرح الممتع ٦/٣٨٨).

وعليه فإذا تناول الصائم شيئاً من هذه المفطرات جاهلاً، فصيامه صحيح.

الشرط الثاني: أن يكون ذاكراً، وضد الذكر النسيان، فلا يؤثر مفسد الصوم للصوم إلا إذا فعلها الصائم وهو ذاكر لصومه فلو نسي الصائم فأكل أو شرب فصومه صحيح، ودليله قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه» صحيح مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم «وهو صائم» يشمل الفريضة، والنافلة. (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٧/١٤٤).

الشرط الثالث: الإرادة فلا يؤثر مفسد الصوم إلا إذا فعله الصائم مختاراً له مريداً لفعله وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من هذه المفسدات مكرهاً

فإنه لا شيء عليه فلا إثم ولا قضاء ولا كفارة ودليل ذلك قوله تعالى: «مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» فإذا تجاوز الله تعالى من قول الكفر وفعله مكرهاً مع اطمئنان القلب مع عظمة وكبر شأنه فلأن يكون الإكراه عذراً في إسقاط اثر المفسد للصوم من باب أولى، ويدل عليه أيضا حديث أبي ذر الغفاري قال:- قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) صحيح سنن ابن ماجة: ٢٠ ٤٣. (ضوابط الصيام الفقهية: لوليد السعيدان ص٣٢).

وكذلك الخطأ كالإكراه، لقول الله تعالى: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» (الأحزاب: ٥).

فمن تمضمض ونزل الماء إلى بطنه بدون إرادة فصومه صحيح، أو طار إلى حلقه ذباب، أو غبار» أي: فلا يفطر؛ لأنه بغير قصد.فإذا أكره الصائم على الفطر، أو فعل مفطراً بدون إرادة، فلا شيء عليه وصومه صحيح. (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٤٤/١٧).

الضابط الخامس: الأصل عدم الكفارة في مفسدات الصوم إلا بدليل:

لقد تقرر في القواعد أن الأصل براءة الذمة من كل الحقوق، وهذا الضابط متفرع عن تلك القاعدة، والمراد منها أن تكون ذمة كل شخص غير مشغولة بواجب أو حق إلا بيقين وثبوت. والبراءة حالة أصلية في الأشخاص، فكل شخص يولد وذمته بريئة، فكل شخص يدَّعي خلاف هذا الأصل يُطلبُ منه أن يبرهن على ذلك.(دراسة وتحقيق قاعدة« الْيَقِينُ لا يَـزُولُ بِالشَّكِّ» لعبد الكريم جاموس ٨٥/٢).

وعلي ذلك لا يجوز إلزام أحد بالكفارة إلا وعلى ذلك دليل شرعي صحيح.

إذا تقرر هذا فاعلم أن سائر المفسدات ليس في شيء منها ذكر الكفارة إلا في مفسد واحد فقط وهو الجماع لا غير فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة: (أن رجلا جاء إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله هلكت. قال: وما أهلكك، قال: وقعت على أهلي وأنا صائم، قال: هل تجد رقبة تعتقها قال: لا، قال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين. قال: لا، قال: هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال: لا... الحديث) ففي هذا الحديث دليل على وجوب الكفارة في هذا المفسد بعينه. ولأن الأصل براءة الذمة، فلا يثبت الشغل إلا بدليل من نص، أو إجماع، أو قياس، ولم يوجد واحد منها، والقياس على الجماع ممنوع، لأنه أفحش، فالحاجة إلى الزجر عنه أبلغ. (شرح الزركشي على مختصر الخرقي ٤٢٣/١).

فمن أوجب في شيء منها كفارة فأنه يطالب بالدليل المثبت لذلك وإلا فقوله مردود عليه.

فائدة:

لا تلحق سائر المفطرات بالجماع وذلك لأمور:

الأول: أن الأصل براءة الذمة من هذه الكفارة.

الثاني: أن الجماع يفارق غيره بقوة داعيه وشدة باعثه.

الثالث: أنه لو وجب لأجل الإفطار لاستوى فيه جميع المفطرات.

الرابع: أن هذه الكفارة العظمى لا تجب إلا في نوع النكاح المحرم لعارض.

الخامس: أن هذه الكفارة لو كانت واجبة بالفطر لكان من أبيح له الفطر من غير قضاء تجب عليه هذه الكفارة، كالشيخ الكبير والعجوز الكبيرة. (وبل الغمامة لعبد الله الطيار ٦٠/٩).

الضابط السادس:

الْإِمْسَاكَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُتَعَدٍّ بِالْفِطْرِ فِي رَمَضَانَ:

قَطْعُ الْعِبَادَةِ الْوَاجِبَةِ بَعْدَ الشُّرُوعِ فِيهَا بِلاَ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ غَيْرُ جَائِزٍ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، لأَِنَّهُ عَبَثٌ يَتَنَافَى مَعَ حُرْمَةِ الْعِبَادَةِ، وَوَرَدَ النَّهْيُ عَنْ إِفْسَادِ الْعِبَادَةِ، قَال تَعَالَى: «وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ»، أَمَّا قَطْعُهَا بِمُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ فَمَشْرُوعٌ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٥١/٣٤)

إذا تقرر هذا فاعلم أن السادة الفقهاء ذهبوا إلى أن من فسد صومه في أداء رمضان وجب عليه الإمساك بقية اليوم تعظيما لحرمة الشهر، فإذا داعب شخص زوجه أو عانقها أو قبلها أو نحو ذلك فأمنى فسد صومه، وفي هذه الحالة يجب عليه الإمساك بقية اليوم ولا يجوز له الفطر. (الفقه على المذاهب الأربعة- الجزيري ٩٠٩/١).

والحمد لله رب العالمين.

خطـــرات صائم

إعداد/ عبد الظاهر أبو السمح، رحمه الله

من مشايخ أنصار السنة المحمدية، وإمام المسجد الحرام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

يظهر لي في كل عام بالتجربة من صيام شهر رمضان أن الصوم يرقق القلب، ويَكسر حدة النفس الشهوية، ويجعلها إلى الخشوع أَقرب، ويحد الإحساس الباطني، ويرقق الحجُب الكثيفة التي تتراكم على عين البصيرة من إدمان الطعام والشراب، ويظهر لي أن الروح تخف أثقالها الجثمانية، وأحمالها الحيوانية، وتقوى وتصح في أيام الصيام، حتى إنها لتكون نافذة الإرادة في الأعمال الصالحة نفوذ السهم من الرمية.

ولا عجب أن نرى ذلك، فإن الطعام والشراب كثيرًا ما كانا سبب التقاعد وضعف الإرادة، وطمس البصيرة، والأمراض الكثيرة، الجثمانية والروحية، وثقل الحركة والسعي، فضلاً عن الجري والسبق.

وإنه لا تكون النفوس كبارًا إلا إذا تعبت في مرادها الأجسام. أما من أعطى جسمه كل ما يشتهي من مأكل ومشرب وشهوة، فهو إلى البهيمية أقرب، وقل هذا أن يلحق السبق ألا ترى مروضي الخيل إذا أرادوا أن تحوز قصب السبق ضمَّروها ومنعوها كثيرًا من العلف، وربما قصَروها على شرب اللبن الحليب؛ فإذا جاءت يوم الرهان كانت كالريح المرسلة. وقد قال الشاعر:

تركت فضول العيش حتى رددتها
إلى دون ما يرضى به المتعفف
وأمَّلتُ أن أجري سريعًا إلى العلا
إذا شئتموا أن تلحقوا فتخففوا

حقًا من أراد اللحاق بسرعة تخفَّف من الفضول.

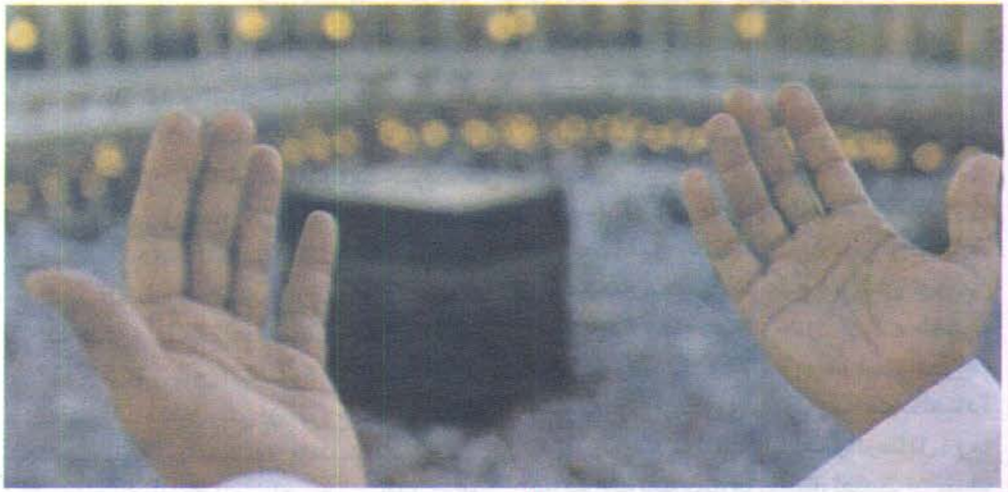
وإنك لو قرأت سِيَر السلف المتقدمين؛ من مشاهير العلماء الزاهدين والحفاظ المحدثين، ووقفت على ما كان لهم من قوة إرادة وشجاعة، وجراءة في مخاطبة الملوك؛ وصدعهم بالحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ وعمارة أوقاتهم بالعبادة الكثيرة، مع تأليف الكتب والرسائل، وما بارك الله لهم فيه من وقت، لعلمت أن سبب ذلك كله الصيام.

هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم على ما كانوا فيه من فقر مدقع؛ فتحوا الفتوح، ومصَّرُوا الأمصار؛ وأتوا بما لن تأتي به أمم الحديد والنار والغازات السامة والخانقة في ربع القرن؛ لماذا؟ لأنهم كانوا يكثرون من الصيام أغلب الأيام، وكان جوعهم أكثر من شبعهم، وهؤلاء البدو لا يزالون أزكى الناس، ولا سبب لذلك إلا الجوع، وخلو الجوف من الفضلات التي يعمي غازها ودخانها عين البصيرة.

ربما يقول قائل: ما لنا نشعر في الصوم بفتور، وركود ذهن؛ وميل إلى النوم؛ وحب للكسل؟ أقول ذلك إنما يكون أول الأمر ثم يذهب، لاسيما إذا لم يظلم الصائم نفسه بملء معدته من المأكولات المختلفة عند الإفطار، كأنه جاع ليشبع، وفرَّغ معدته ليملأها. فمثل هذا لابد أن يُصاب بأمراض غليظة وأسقام كثيرة، وأشدُّها قسوة القلب وجمود العين.

وأنَّى لامرئ مملوء بطنه بالعَذرة أن يستنير قلبه، ويفهم عن الله ورسوله؟!

اللهم عفوًا وغفرانًا يا أرحم الراحمين.



أيها الصائم
ادْعُ ربَّك

إعداد/ الشيخ/ مصطفى العدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن الدعاء هو العبادة، يفرج الله به همًا، ويذهب به ألمًا، وكم من دعوة استجلبت رضا الله ورحمته، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ بين آيات الصيام

وقوله تعالى: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة:١٨٦)، لماذا أدخلت هذه الآية في ثنايا آيات الصيام؟ قال كثير من أهل العلم: أدخلت هذه الآية بين آيات الصيام؛ لبيان أنه يستحب للصائم أن يكثر من الدعاء، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترد دعوتهم)، فذكر منهم: (الصائم حتى يفطر)، وليس حين يفطر فقط، إنما حتى يفطر، فطوال اليوم وأنت صائم، لك دعوة مستجابة.

قال تعالى: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة:١٨٦)، عن أي شأن من شئون ربنا سبحانه سأل العباد نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم؟ هل سألوه عن رحمة الله؟ هل سألوه عن عفو الله؟ عن انتقام الله؟ عن صفات الله؟ كل ذلك ليس المراد هنا، إنما سألوه عن القرب والبعد، قالوا: أقريب ربنا فنناجيه يا رسول الله أم بعيد فنناديه؟

فقال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (البقرة:١٨٦)، فدليله أنهم لم يسألوه عن شيء في هذا الباب إلا عن القرب والبعد، فحذفت كلمة: (قل) فلم يقل الله: (فقل لهم: إني قريب) بل قال: «فَإِنِّي قَرِيبٌ»؛ للدلالة على القرب كذلك من ناحية النظم القرآني.

حقيقة إجابة الدعاء

وقوله تعالى: «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة:١٨٦)، هذا يُشكل على من لا فقه له، فيقول: كيف يقول الله: «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»؟! وكيف يقول: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (غافر:٦٠)، وهأنذا قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي؟! فكيف يوفق بين وعد الله بالإجابة وبين تخلف الإجابة في الظاهر عن كثير من الداعين؟! أجاب العلماء على ذلك بعشرة أجوبة وأزيد، فمن هذه الأجوبة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال-فيما أخرجه أحمد في المسند بسند حسن-: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطي بها إحدى ثلاث: إما أن يصرف عنه من السوء مثلها، وإما أن يعطى مسألته، وإما أن تدخر له الإجابة إلى يوم القيامة)، فتقول: يا رب! ارزقني، قد ترزق عاجلاً غير آجل، وقد تدخر لك الإجابة إلى الآخرة، وقد تكون هناك مصيبة ستحل بك فصرفها الله عنك، هذه ثلاثة أجوبة.

الجواب الرابع: أن الإجابة مقيدة بمشيئة الله، كما قال تعالى: «فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ» (الأنعام:٤١)، فجعلها مردودة إلى مشيئة الله.

الوجه الخامس: قد تتأخر الإجابة كي تكثر من الدعاء فتثاب، فإنك كلما قلت: يا رب! ارزقني فإنك تثاب؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الدعاء هو العبادة)، ولذلك تأخرت الإجابة عن بعض أهل الفضل والصلاح أزمنة طويلة جداً، تأخرت الإجابة عن أيوب عليه الصلاة والسلام فلبث في بلائه ثمانية عشر عاماً، حتى رفضه القريب والبعيد إلا اثنان من أبناء عمومته.

(قال أحدهما يوماً للآخر-لما طال أمد المرض بأيوب عليه السلام-: ترى يا هذا! لقد أذنب أيوب ذنباً لم يذنبه أحد من العالمين، قال: لماذا؟ قال: إنه مكث في بلائه ثمانية عشر عاماً وهو نبي ويدعو ولا يستجاب له، فهذا يدل على أنه صنع شيئاً لا نعرفه نحن إنما يعرفه الله، فما صبر الرجل حتى ذهب إلى أيوب وأخبره، فقال أيوب عليه السلام: الله أعلم بما تقولان، لكن الله يعلم أني كنت أمرُّ بالرجلين يختصمان في مال، فأكره أن يذكر الله سبحانه وتعالى في كذب، فأذهب إلى بيتي وآتي بمال من مالي فأدفعه إلى الخصم حتى لا يقسم بالله كاذباً، الله أعلم بما تقولان، وحزن حزناً شديداً عليه السلام لهذه المقالة، ودعا ربه: «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (الأنبياء:٨٣).

فخرج يوماً مع زوجته لقضاء حاجته، فانتظرته زوجته وقد كان حيياً عليه السلام، فذهب بعيداً عنها فأوحي الله إليه بقوله: «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ» (ص:٤٢)، فضرب برجله فخرج الماء، فاغتسل وشرب فأذهب الله ما بخارجه وما بداخله من داء، فرجع إلى امرأته في أحسن ما يكون، فقالت له: أيا عبد الله! أما رأيت نبي الله ذاك المبتلى؟ فوالله! لقد طال عليّ المقام في انتظاره، فقال لها: أنا هو، قالت: اتق الله! ولا تهزأ بي ولا تسخر مني، فقال: أنا هو، فكررت عليه المقولة وقالت: والله! ما رأيت أحداً شبيهاً به منك إذ كان صحيحاً، قال: أنا هو فحمد الله سبحانه وتعالى على ما كان).

الشاهد: أن البلاء لبث به زمناً طويلاً وربه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه حاله، ولكن كل دعوة دعا بها أيوب أثيب عليها، ومن ثم جاءت التزكية والشهادة، ليست تزكية مزورة، إنما تزكية من رب العالمين، قال تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص:٤٤)، ثلاث تزكيات من الله سبحانه وتعالى بعد هذا الجهد والعناء الطويل: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص:٤٤)، «وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ» (ص:٢٥).

كذلك تأخرت الإجابة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شهراً أو يزيد؛ وذلك عندما قذفت بما قذفت به، ولا شك أنها كانت تدعو ربها، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام وأهل الإسلام كذلك كانوا يدعون ربهم أن يكشف هذه الغمة، فما جاء الخبر (والإجابة) إلا بعد شهر من تهوك المتهوكين وإفك الأفاكين، والرسول يغتم لذلك غماً شديداً، والكل يدعو بكشف الغمة وزوالها، ولكنّ الجواب تأخر والمصيبة ازدادت، ومصيبة

أخرى وهي: أن الوحي ينقطع عن بيت رسول الله من النزول ويتأخر؛ فيتخذ ذلك أهل النفاق ذريعة للطعن في رسول الله، وفي بيت النبوة، ويقولون: ما انقطع الوحي إلا أن البيت تدنس، فبعد ذلك كله يأتي الفرج، عائشة تقول: والله! ما كنت أطمع في أكثر من أن يري الله نبيه رؤيا في منامه يبرئني الله بها، وأيضاً تقول عائشة : لشأني في نفسي أحقر من أن ينزل في وحيٌ يتلى، ولكن فضل الله أوسع، فلا شك أن في ذلك كله خيراً لأهل الإسلام، كما قال تعالى: « لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ » (النور:١١).

من أسباب عدم إجابة الدعاء

١- **الاستعجال:** فعلى ذلك يلزمك أن تكثر من الدعاء ولا تستعجل؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل قيل: وكيف الاستعجال يا رسول الله؟! قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عن الدعاء فيترك الدعاء).

٢- ظلمك لغيرك يمنع عنك الإجابة

قد يحجب عنك إجابة الدعاء بسبب مظالم العباد، فأنت تدعو ومظلوم يدعو عليك، دعوتك تصعد، ودعوته تصعد تدمر دعوتك، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول-فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى-: (وإياك ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها الله فوق الغمام ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)، أي: ولو بعد زمن، فإن نصر المظلوم حقٌ على الله سبحانه وتعالى.

ونضرب في ذلك أمثلة لأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام: (أروى بنت أوس اختصمت مع سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة في بئر في أرض، فادعت أروى أنها لها، ورفعته إلى مروان بن الحكم فاستدعاه مروان فقال له: أخذت أرض أروى يا سعيد، قال: أنا آخذ أرضها بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: وماذا سمعت من رسول الله؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه يوم القيامة من سبع أرضين، قال: والله! لا أسألك بينة بعد هذا، فقال سعيد بن زيد : اللهم! أعم بصرها، واجعل قبرها في دارها، فكبرت حتى عمي بصرها، ومرت على البئر التي خاصمت فيها فسقطت فيها، فما استطاعوا إخراجها فكانت قبرها).

ونحوه صنع سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه؛ وذلك لما طعن فيه أهل الكوفة، حين أرسلوا رسالة إلى عمر رضي الله عنه: أن سعداً لا يحكم بالسوية، ولا يخرج في السرية، ولا يعدل في القضية، فأرسل عمر إلى مساجد الكوفة من يسأل عن أخبار سعد، فذهب إلى المساجد وكل أهلها يثنون على سعد خيراً، فمر بمسجد لبني عبس، وقال-أي رسول عمر-: أناشدكم بالله أن تقولوا في سعد الذي تعلمونه، فقام رجل فقال: أما وقد نشدتنا بالله، فإن سعداً لا يحكم بالسوية، ولا يعدل في القضية، ولا يخرج في السرية! تعجب سعد من ظلم هذا الظالم المفتري الكذاب، فقال سعد : اللهم! إن كنت تعلم أن عبدك هذا قام رياء وسمعة؛ اللهم! أطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، فكبر الرجل حتى انحنى ظهره، وسقط حاجبه على عينه، ومع هذه الحال المزرية من الكبر كان يمشي في الطرقات يغمز الجواري ويتعرض لهن، فإذا عوتب قال: أصابتني دعوة سعد؛ رضي الله تعالى عنه.

فإياك ودعوة المظلوم، فقد تدعو ومظلوم يدعو عليك فدعوته تدمر دعوتك.

٣-أكل الحرام يمنع الإجابة

ومن أسباب حجب الدعاء أنك قد تدعو وأنت آكل للحرام كأكل الربا والرشوة وغيرهما من المحرمات، والنبي صلى الله عليه وسلم: (ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟)، قد تدعو الله بلسان مغتاب تخوض به يميناً ويساراً في أعراض المسلمين والمسلمات، قد تدعو الله بقلب مليء بالغل والأحقاد والحسد للمؤمنين والمؤمنات، كيف يستجاب لك وأنت تتمنى من قلبك أن تنزل بصاحبك مصيبة، أو أن تنزل بجارك مصيبة، أو أن يخرس لسانه فلا يتكلم، أو أن يصاب بحادث؟! فكيف تدعو الله بقلب حمل هذا الدنس، وحمل هذا الوسخ؟! قال تعالى: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » أي: فيما أمرتهم به من دعاء «وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى» أي: ليصدقوني فيما أخبرتهم به، «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (البقرة:١٨٦)، والراشد هو المستمسك بدينه على صلابة فيه.

وفقنا الله وإياكم لكل خير، والحمد لله رب العالمين.

صلاة الوتر.. أحكام وآداب

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، ونبيه المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد:

فالوتر آكد نوافل الصلوات التي حث عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وحافظ عليه في السفر والحضر، حتى قدَّمها جمهور الفقهاء عن سائر النوافل في الفضل والأجر، واختلفوا أيهما أفضل ركعتا الفجر- النافلة- أم هو؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٣/٨٨): «هو باتفاق المسلمين سنة مؤكدة، لا ينبغي لأحد تركه.

والوتر أوكد من سنة الظهر، والمغرب، والعشاء، والوتر أفضل من جميع تطوعات النهار، كصلاة الضحى، بل أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل، وأوكد ذلك الوتر وركعتا الفجر. والله أعلم».

لذا أحببت أن يكون هذا المقال عن أحكامه، وآدابه، وبالله التوفيق.

الوتر لغة:

الوتر: يقال: بكسر الواو- على لغة أهل الحجاز، وتميم-، وفتحها- على لغة غيرهم من العرب- والفتح هو الذي قرأ به أكثر السبعة وقرأ حمزة والكسائي بالكسر في قوله تعالى: «وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ» (الفجر: ٣).

والوتر شرعًا: الصلاة المخصوصة التي تُصلَّى بعد صلاة العشاء إلى الفجر.

فضله والحث عليه:

مما ورد في فضل الوتر والحث عليه:

- حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أهل القرآن أوتروا؛ فإن الله وترٌ يحبُّ الوتر». رواه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، والنسائي (٣/٢٢٨- ٢٢٩)، وابن ماجه (١١٦٩)، وقال الترمذي: حسن.

- وحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من خاف أن لا يقومَ منْ آخر الليل فليوترْ أوَّله، ومن طمع أن يقومَ آخرَه فليوتر آخرَ الليل؛ فإن صلاةَ آخرِ الليل مشهودةٌ محضورةٌ، وذلك أفضلُ». رواه مسلم (٧٥٥) (١٦٢)، والترمذي (٤٥٥)، وابن ماجه (١١٨٧).

حكم الوتر:

الوتر عند جمهور الفقهاء مالك، والشافعي، وأحمد، إحدى الروايتين عن أبي حنيفة، وقول صاحبيه أبي يوسف، ومحمد بن الحسن أنه سنة مؤكدة- وهذا أقل ما قيل فيه-.

وظاهر مذهب الحنفية الوجوب، قال النسفي في كنز الدقائق- وهو أحد المتون المعتبرة في المذهب- (ص ١٧٦): «الوتر واجبٌ».

وغاية ما استدل به الحنفية على وجوبه:

- حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الوتر حق على كل مسلم، فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل، ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل». رواه أبو داود (١٤٢٢)، والنسائي (٣/٢٣٨ و٢٣٩)، ورواه ابن ماجة (١١٩٠).

وموضع الشاهد فيه قوله: «حق»، والحق: الواجب ظاهرًا.

- وحديث بريدة رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوتر حق، فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق، فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق، فمن لم يوتر فليس منا». رواه أحمد (٥/٣٥٧)، وأبو داود (١٤١٩)، ومداره على عبيد الله بن عبد الله العتكي، وهو مختلف فيه.

وقال الألباني: ضعيف.

وموضع الشاهد فيه: قوله: «حق»، وقد سبق.

.وقوله: «فمن لم يوتر فليس منا»؛ ولا يتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من رجل ترك مستحبًّا.

. وحديث علي رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «يا أهل القرآن أوتروا»، وقد تقدم في أول المقال.

وموضع الشاهد فيه: قوله: أوتروا؛ فهو أمر، والأصل في الأمر الوجوب.

والجمهور يحملون قوله: «حق»، على الحق المستحب، ويحملون الأمر، على أمر التأديب، والإرشاد الشرعي، وأما البراءة فإنها عندهم لا تثبت، ويستدلون لقولهم بأمور أهمها:

- قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨)

ولو كانت الصلوات ست لم يكن فيها صلاة وسطى، وهذا لا يلزم الحنفية، لأنهم لا يقولون: الوتر فرض، وإنما يقولون: هو واجب، وهم يفرقون بين الفرض، والواجب.

- وحديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يسأل عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل علي غيرهن؟ قال: «لا، إلا أن تطوع».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وصيام رمضان. فقال: هل علي غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع.

قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة. فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع.

وموضع الشاهد فيه قوله: «لا»، فنفى فرضية غيرها، وقال: إلا أن تطوع، فجعل ما دون الفريضة التطوع، وهو واضح الدلالة.

واحتجوا بغير ذلك من الأدلة، فقول الجمهور هو الصواب، إن شاء الله تعالى.

وقت الوتـر:

يبدأ وقت الوتر عند جمهور أهل العلم من بعد صلاة العشاء، وينتهي بظهور الفجر الصادق.

فلو صلى العشاء، ولو جمع تقديم فقد دخل وقت الوتر، وإذا ظهر الفجر الصادق فقد فات وقته.

وقد نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك قال في كتابه الإجماع (ص ٤٢، مسألة: ٧٣): «وأجمعوا على أن ما بين صلاة العشاء، إلى طلوع الفجر: وقت للوتر».

ودليل ذلك:

- حديث خارجة بن حذافة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم: ما بين صلاة العشاء، إلى طلوع الفجر». رواه أبو داود، (١٤١٨)، والترمذي (٤٥٢) وضعفه البيهقي في السنن الكبرى(٤٧٧/٢)، وصححه الألباني في الإرواء (٤٢٣) دون قوله: «خير لكم من حمر النعم.

- وحديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أوتروا قبل أن تصبحوا». رواه مسلم (٧٥٤) (١٦٠)، والترمذي (٤٦٨)، والنسائي ٢٣١/٣، وابن ماجه (١١٨٩).

هل يقضى الوتر إذا خرج وقته؟

اختلف أهل العلم في ذلك على مذاهب أهمها:

الأول: أنه يقضيه بعد الفجر، ما لم يصل الصبح، فإذا صلاه، فلا قضاء وهو مذهب مالك، والشافعي، وأحمد.

الثاني: أنه يقضيه بعد الفجر، وإن صلى الصبح، ما لم تطلع الشمس، وهو قول طاووس.

الثالث: أنه يقضى، وإن طلعت الشمس، على أصل مشروعية قضاء فوائت الصلوات المستحبات وهو قول عن عطاء، ومجاهد، والحسن، والشعبي، وحماد بن أبي سليمان، وبه قال الأوزاعي، وأبو ثور.

الرابع: أنه يقضى مطلقًا، ولو في الليلة الثانية وهو قول سعيد بن جبير.

الرابع: أنه إن فات وقته لا يقضى، كالصلوات ذوات الأسباب مثل: الكسوف، والاستسقاء، تحية المسجد، ونحوها، وللأحاديث الماضية في التوقيت.

وهذا ضعيف للفرق بين ذوات الأسباب، والصلوات المستحبات المؤقتة، والفرق بينهما أن المؤقتات قضاها النبي صلى الله عليه وسلم كقضائه راتبة الظهر بعد العصر، ولأن القائل بقضائها لا ينكر أن وقتها قد فات بطلوع الفجر الصادق، لكن محل الخلاف في مشروعية القضاء.

لكن يقويه حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا طلع الفجر فقد ذهب كل صلاة الليل والوتر، فأوتروا قبل طلوع الفجر». رواه الترمذي (٤٦٩)، وابن خزيمة (١٠٩١)، وصححه الألباني.

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أدرك الصبح ولم يوتر فلا وتر له». رواه أبو داود الطيالسي (٢١٩١)، وابن خزيمة (١٠٩٢)، وابن حبان (٢٤٠٨).

والمذهب الأول هو أرجح المذاهب، وهو فعل جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن المنذر في الإشراف (٢٦٦/٢): «وروى عن ابن عباس أنه أوتر بعد طلوع الفجر، وروي ذلك عن ابن عمر، وممن روي عنه

أنه أوتر بعد طلوع الفجر، عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وحذيفة، وابن مسعود، وعائشة».

ويؤيده حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نام عن الوتر أو نسيه فليصل إذا أصبح أو ذكر». رواه أبو داود (١٤٣١)، والترمذي (٤٦٥)، وابن ماجه (١١٨٨).

والمذهب الثاني ليس ببعيد، وأما باقي المذاهب فإنه يرد عليها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فاته قيام الليل، صلى ثنتي عشرة ركعة من الضحى فيشفع الصلاة، ولا يوترها.

عدد ركعات الوتر، وصفته:

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الوتر هيئات متنوعة ففعل كل واحد منه سنة، لا تهجر، فتفعل هذه تارة، وتلك أخرى، وهي ست هيئات:

الهيئة الأولى: أن يوتر بركعة لحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الوتر ركعة من آخر الليل». رواه مسلم (١٥٣) (٧٥٢)، والنسائي (٢٣٢/٣)، وابن ماجه (١١٧٥).

وهذا كان غالب فعله صلى الله عليه وسلم كان يصلي مثنى، مثنى، ثم يوتر بركعة.

الهيئة الثانية: أن يوتر بثلاث ركعات متصلة، لا يجلس إلا في آخرهنّ لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد إلا في آخرهن». رواه مالك (٤٦٦)، والنسائي (٢٣٤/٣).

الهيئة الثالثة: أن يوتر بخمس ركعات لا يجلس إلا في آخرهن لحديث عائشة قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس لا يجلس إلا في آخرها». رواه مسلم (٧٣٧)، وأبو داود (١٣٢٤)، والترمذي (٤٥٧).

الهيئة الرابعة: أن يوتر بسبع متصلة لا يجلس إلا في آخرهن؛ لحديث أمنا أم المؤمنين أم سلمة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بخمس وبسبع لا يفصل بينها بسلام ولا بكلام». رواه النسائي (١٧١٤).

الهيئة الخامسة: أن يصلي سبع ركعات متصلة، يجلس للتشهد في السادسة، ثم يقوم للسابعة فيقضيها، ويتشهد، ويسلم، والفرق بينها وبين الصورة الماضية أنه في الصورة الماضية لم يتشهد في السادسة.

الهيئة السادسة: أن يصلي تسع ركعات متصلة، يجلس للتشهد في الثامنة، ثم ينهض فيأتي بالتاسعة، ثم يتشهد، ويسلم.

لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك، ويتوضأ، ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يقوم فيصل التاسعة، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم يسلم تسليما يسمعنا، ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أسن نبي الله صلى الله عليه وسلم، وأخذه اللحم أوتر بسبع، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول، فتلك تسع يا بني» رواه مسلم (١٣٩) (٧٤٦).

ومن صلى أول الليل ثم أراد أن يصلي بعدها، صح له ذلك باتفاق المذاهب الأربعة، دون حاجة لنقض الوتر على الصحيح، وهذا المقال لا يتسع لمناقشة المسألة.

قنوت الوتر:

والمراد بالقنوت هنا هو الدعاء في محل مخصوص من صلاة الوتر.

والقنوت في الوتر يشرع طوال العام في رمضان وغيره، وإن لم يرد فيه نقل فعلي عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن ورد فيه سنة قولية.

لحديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر- قال ابن جواس في قنوت الوتر-: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت». رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٨)، والنسائي (٢٤٨/٣)، وابن ماجه (١١٧٨).

محل القنوت:

يشرع القنوت في الوتر قبل الركوع، وبعده، والثاني عليه جمهور العلماء، لكن ورد ما دل على جواز الأمرين هذا ما يسره الله في هذا المقال، والحمد لله أولا وآخرًا.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله
رمضان شهر الدعاء

قال تعالى: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " (البقرة: ١٨٦).

من فضائل الصحابة
بشهادات آل البيت

عن سالم بن أبي حفصة -وكان يترفض- قال: دخلت على أبي جعفر وهو مريض، فقال -وأظن قال ذلك من أجلي-: "اللهم إني أتولى وأحب أبا بكر وعمر، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة". (سير أعلام النبلاء).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
رمضان شهر القرآن

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ». (البخاري: ١٩٠٢، ومسلم: ١١٥١).

صيام رمضان برؤية الهلال

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ -وفي رواية غُبِّيَ- عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ». (أخرجه البخاري: ١٩٠٩، ومسلم: ١٠٨١).

رمضان شهر الكرم

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ» (أخرجه الترمذي (٨٠٧) وصححه الألباني).

رمضان شهر الخيرات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» (سنن الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وصححه الألباني).

إعداد/ علاء خضر

حقيقة الصيام

عن الشعبي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف» (مصنف عبد الرزاق).

من سنن الأنبياء في الصيام

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنا معشر الأنبياء أُمرنا أن نعجّل إفطارنا، ونؤخر سحورنا، ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة» (صحيح الجامع ٢٢٨٦).

رمضان شهر التربية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابّك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم» (أخرجه ابن خزيمة وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٠٨٢).

من بركات السحور

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ» (مسند أحمد ١١١٠١ وحسنه الألباني).

الاجتهاد في العشر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره. (مسلم ١١٧٥).

لا تحرم نفسك المغفرة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له» (الترمذي ٣٥٤٥ وصححه الألباني).

حكم من آكل ناسيًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل أو شرب ناسيًا فلا يفطر فإنما هو رزق رزقه الله». (سنن الترمذي ٧٢١ وصححه الألباني).

العدد والكيفية في قيام الليل في رمضان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد، فهذا بحث مختصر في قيام الليل في رمضان.. العدد والكيفية، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ د.متولي البراجيلي

أولا: العدد:

لم يرد في تحديد عدد ركعات قيام الليل سواء في رمضان أو غيره حديث قولي خاص، وما ورد في ذلك أحاديث عامة فقط، وما ثبت في تحديد عدد ركعات قيام الليل، ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم، كما في بحديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي إحدى عشرة ركعة - كانت تلك صلاته- يعني بالليل. (صحيح البخاري).

وفي صلاته صلى الله عليه وسلم التراويح بالصحابة في الليالي التي صلى فيها بهم، ذكر جابر رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثمان ركعات وأوتر... (صحيح ابن حبان وابن خزيمة وغيرهما)، والحديث في سنده عيسى بن جارية تكلم فيه أهل العلم، وقد حسن الحديث بعض أهل العلم، كالأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة ح ١٠٧٠. وقال الألباني: حسن لغيره كما في صحيح ابن حبان ح ٢٤٠١، وقال: أشار الحافظ في الفتح وفي التلخيص إلى تقويته، (صلاة التراويح للألباني صـ٢١).

ومتن الحديث يشهد له الأحاديث الأخرى التي صحت في وصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل، لكن به إشارة هامة ينفرد بها عن الأحاديث الأخرى، وهي أن ذلك كان في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه قيام الليل (التراويح) جماعة، مما يدل على اختيار النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه أيضًا.

الأحاديث العامة:

سنكتفي بحديث ابن عمر رضي الله عنهما: لتعلقه بما نحن بصدده، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل، فقال: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» (متفق عليه).

فهذا الحديث ورد في سؤال حول قيام الليل، ولو كان لقيام الليل عدد محدد لبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في إجابته، فأخذ العلماء من الحديث، جواز الزيادة في قيام الليل على ما ورد في أحاديث عائشة وابن عباس رضي الله

عنهم. قال الحافظ ابن حجر: وأنه الأفضل في حق الأمة (أي عدم التقييد بعدد) لكونه أجاب به السائل (فتح الباري ٢٠/٣)، فهل فعل النبي صلى الله عليه وسلم الموصوف في الأحاديث السابقة مقيد للإطلاق الذي ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فكما هو مقرر فإن فعل النبي صلى الله عليه وسلم منه ما يدل على الوجوب، وهو ما كان على وجه البيان كقوله صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي». لبيان قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة)، ومنه ما يكون على الاستحباب، ومنه ما يكون مباحًا، فأصل صلاة القيام في حقنا مستحبة وليست واجبة، وبالتالي فإن التقييد بالعدد أو الكيفية هنا أعلى درجاته الاستحباب تأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم. أم إن التقييد يكون بالجمع بين العدد والكيفية؟ فمتى صلى بالكيفية التي صلى بها النبي صلى الله عليه وسلم التزم بالعدد الذي صلى به النبي صلى الله عليه وسلم، فكما ثبت في حديث حذيفة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البقرة والنساء وآل عمران في ركعة واحدة.. (مسلم وغيره).

ولعل مراعاة كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم هو ما نظر إليه عمر رضي الله عنه، عندما جمع الناس أولا على إحدى عشرة ركعة، كما بحديث السائب بن يزيد قال: «أمر عمرُ بنَ الخطاب أبيَ بنَ كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة قال: وكان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر» (موطأ مالك، وهو صحيح انظر مشكاة المصابيح ح ١٣٠٣).

ثم زادهم إلى الثلاث وعشرين لما ضعف الناس عن طول القيام، كما قال أبو الوليد الباجي: ويحتمل أن عمر أمرهم بإحدى عشرة ركعة وأمرهم مع ذلك بطول القراءة، يقرأ القارئ بالمئين؛ لأن التطويل في القراءة أفضل الصلاة، فلما ضعف الناس عن ذلك، أمرهم بثلاث وعشرين ركعة، على وجه التخفيف عنهم من طول القيام (المنتقى شرح الموطأ ٢٠٨/١).

وقد وردت الآثار الصحيحة أن الصحابة صلوا عشرين ركعة (بغير الوتر)، منها: في سنن البيهقي بسنده عن السائب بن يزيد رضي الله عنه، قال: كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة. (قال الحافظ زين الدين العراقي إن سنده صحيح، طرح التثريب في شرح التقريب ٩٧/٣، وكذلك النووي في المجموع ٣٢/٤-٣٣).

وعدد عشرين ركعة هو ما عليه الجمهور، بل عد بعضهم هذا كالإجماع، لوقوعه في زمن عمر والصحابة ولم ينكره أحد. (انظر طرح التثريب ٩٧/٣).

ونقل الحافظ ابن حجر الروايات التي وردت في صلاة التراويح، ثم قال: والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها، فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس (انظر فتح الباري ٢٥٣/٤-٢٥٤).

ونحن متعبَدون بالتأسي به صلى الله عليه وسلم - طالما ليس الفعل من خصائصه صلى الله عليه وسلم - يقول الآمدي: «فمعظم الأئمة من الفقهاء والمتكلمين، متفقون على أننا متعبدون بالتأسي به صلى الله عليه وسلم في فعله، واجبًا كان أو مندوبًا أو مباحًا» (الإحكام في أصول الأحكام ١٨٦/١ للآمدي).

وقد واظب النبي صلى الله عليه وسلم على هذا العدد في صلاة القيام، ومن القواعد الفقهية المشهورة: «ما كان أكثر فعلا، كان أكثر فضلا».. فالمعهود من فعله صلى الله عليه وسلم بمواظبته عليه هو الأفضل وإن كان أقل (انظر الأشباه والنظائر للسيوطي صـ١٤٣-١٤٤).

فالتحقيق: لاشك أن الاكتفاء على إحدى عشرة ركعة هو الأفضل لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ومواظبته عليه، مع جواز الزيادة على ذلك إذا رأى الإمام أن حال المصلين يتطلب ذلك، وكما قال ابن تيمية بعد ذكر روايات عدد صلاة التراويح:... وهذا كله سائغ، فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه

فقد أحسن، والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، ثم قال: «ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد مؤقت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُزاد ولا ينقص منه فقد أخطأ». (انظر مجموع الفتاوى ٢٢/٢٧٢-٢٧٣).

وقال الشيخ الألباني في نهاية كتابه عن صلاة التراويح - مع تبنيه لعدم جواز الزيادة عن إحدى عشرة ركعة..: «وإنه لو قيل بجواز الزيادة عليه (على إحدى عشرة ركعة) فلاشك أن الأفضل الوقوف عنده (الإحدى عشرة ركعة) لقوله صلى الله عليه وسلم: «خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم» (صلاة التراويح ص١٢٣).

ثانيا: الكيفية:

هل يجوز صلاة قيام الليل من أول رمضان على مرتين (التراويح، التهجد)؟

أولا: من حيث وقت القيام فذلك جائز؛ لأن وقت القيام يبدأ من بعد صلاة العشاء ويستمر إلى قبل صلاة الفجر، وأفضله ما كان في ثلث الليل الأخير.

ثانيا: من حيث العدد، فلو صلى الناس ثمان ركعات، ثم انصرفوا، ثم عادوا فأتموا ثلاثًا وعشرين أو إحدى وعشرين ركعة بالوتر، فعلى ضوء ما بينا في مسألة عدد صلاة التراويح؛ فإن هذا جائز، إن كان هذا لمصلحة زيادة وقت الصلاة من ناحية، ومن ناحية أخرى مصلحة المصلين.

ثالثا: من حيث الهيئة والكيفية:

لا أعلم أن ذلك فعله أحد من الصحابة في رمضان، وما نقل إلينا عنهم كان هو إطالة الصلاة حتى يخرجوا منها قريبًا من الفجر، خاصة في العشر الأواخر، وما أشار إليه العلماء عن صلاة التهجد كان متعلقًا بالعشر الأواخر من رمضان، وأنه لا بأس أن يزيد عدد الركعات في العشر الأواخر في صلاة التهجد، حتى إن كان يصلي إحدى عشرة ركعة، فيصلي ثمان ركعات في التراويح - دون وتر- ثم يكمل باقي العشرين في صلاة التهجد، ويوتر بثلاث. وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد اجتهاد، ويجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيى ليله، وأيقظ أهله» (متفق عليه).

ومن المعلوم لدينا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحيي الليل طوال السنة، فيكون قول أم المؤمنين - وأحيى ليله - أي كله أو غالبه على غير عادته صلى الله عليه وسلم في إحياء الليل طوال العام، وذلك في إطالة وقت الصلاة (الكيفية) دون زيادة عدد الركعات، وهذا نجده واضحًا في حديث أبي ذر رضي الله عنه: صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا من الشهر شيئًا حتى إذا بقي سبع، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، ثم لم يقم بنا الليلة الرابعة، وقام بنا التي تليها حتى ذهب نحو من شطر الليل.. ثم لم يقم بنا السادسة وقام بنا السابعة، وبعث إلى أهله واجتمع الناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح (السحور) (صحيح أبي داود وغيره).

فالنبي صلى الله عليه وسلم اجتهد في العشر الأواخر وميزها عن العشرين الأوائل من رمضان، وهذا الذي دعا السلف إلى إقامة صلاة التهجد في العشر الأواخر من رمضان تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم-كما ذكرنا- ما كان يزيد في عدد الركعات إنما كان يطيل فيها.

ولقد نقل عن بعض السلف الزيادة في الصلاة في العشر الأواخر، من ذلك حديث أبي بكرة رضي الله عنها... أنه كان لا يصلي في العشرين (العشرين من رمضان) إلا كصلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد (صحيح ابن حبان، وصحيح سنن الترمذي).

ومن ذلك أيضًا ما ذكره ابن أبي شيبة في المصنف بسنده: «كان سعيد بن جبير يؤمنا في رمضان فيصلي بنا عشرين ليلة ست ترويحات، فإذا كان العشر الآخر اعتكف في المسجد وصلى بنا سبع ترويحات» (مصنف ابن أبي شيبة ح ٧٩٦١).

فإن صلى الناس التهجد من أول ليالي رمضان إضافة إلى التراويح، فإن ذلك جائز للإطلاق الوارد في أحاديث قيام الليل، لكن الأفضل الاكتفاء على التراويح فقط.

هذا، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

رمضان وغض البصر



إعداد/ أحمد عز الدين

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أفضل خلقه وخاتم رسله وإمام أنبيائه وسيد أصفيائه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

غض البصر: هو خفضه وصرفه عما لا يُباح النظر إليه، وجاءت الأوامر بغض البصر ومنعه من الاسترسال لأنه من أعظم السبل الموصلة إلى الوقوع في الفاحشة، فالنظر الحرام يفتك بالقلوب ويجر إلى المعاصي والآثام، قال الله تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» (النور: ٣٠- ٣١).

قال الشافعي وأحمد رحمهما الله: «يحرم على المرأة النظر إلى الرجل، كما يحرم على الرجل النظر إليها».

وبيّن سبحانه أن الإنسان مسئول عن نظره وبصره، فقال عز وجل: «إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا» (الإسراء:٣٦)، ومنع النبي صلى الله عليه وسلم من الجلوس في الطرقات المفضي إلى النظر الحرام، فقال: «إياكم والجلوس في الطرقات». فقالوا: ما لنا بدٌ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. فأرشدهم إلى إعطاء الطريق حقه، وهو: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. متفق عليه.

وعن جرير بن عبد الله البجلي لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا جرير، اصرف بصرك».

وقد شرع الاستئذان من أجل سلامة الأعراض والبيوت من البصر والنظر، وألا ينظر أحد إلى عورة أحد ولا إلى ما يسيء إليه، ورخص النبي صلى الله عليه وسلم في فقء عين من ينظر إلى عورات الناس في بيوتهم بغير إذن، فقال: «لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح». (البخاري ومسلم).

قال ابن القيم رحمه الله: «فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في القلب والاشتغال به، والفكرة في الظفر به، فمبدأ الفتنة في فضول النظر والحوادث العظام إنما هي منه فكم من نظره أعقبت حسرات.

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلوب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والنظر الممنوع كل ما يجر إلى منكر وشر وفساد، فيدخل في ذلك النظر إلى صور النساء سواء في الكُتب أو المجلات أو الجرائد، وكذلك النظر إلى النساء في أجهزة الإعلام كالتلفاز ونحوه وشبكات الإنترنت وما بها من مواقع فاسدة ومفسدة وناشرة للرذيلة، ومروجة للدعارة والبغاء.

ولأجل أن النظر مع الحواس الأخرى ذريعة الزنا سمّاه الرسول صلى الله عليه وسلم (زنا) فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين الاستماع، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين الخطى، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

فما أحوج الشباب والفتايات - بل وعامة المسلمين- إلى أن يغضوا أبصارهم في رمضان وغير رمضان، خاصة لسلامة الصيام، وصيانة القلب، واستقرار الأسر، والإعراض عما يكثر في هذا الشهر الكريم من أهل الزيغ والإفساد بكم هائل من الإغراءات لجذب الناس وصرفهم عن عبادة ربهم والانتفاع به لكمال التقوى، وهو غرض الصوم.

وفقنا الله وإياكم إلى كل خير، والحمد لله أولاً وآخرًا.



صلاة التراويح وشفقة النبي صلى الله عليه وسلم بالأمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام، وبعد.

ففي جو الصيام وروحانيته تحسن تلاوة القرآن وقيام الليل.. والمعروف أن القرآن الكريم بدأ نزوله في رمضان، حيث كان الرسول الكريم مقبلاً على ربه. منصرفاً عن الخلق.. معتزلاً الجاهلية ينشد الحقيقة في غار حراء. وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن شرفه الله بنزول القرآن في رمضان يقوم الليل به طوال السنة، ويضاعف التلاوة والتهجد في هذا الشهر المبارك، وقد سن لأمته أن تقوم بالقرآن في ليالي رمضان. كما فرض عليها صيام أيامه.

إعداد/ جمال عبد الرحمن

كيف بدأت صلاة التراويح؟

روى البخاري بسنده إلي عُرْوَة أنَّ عَائشَةَ، أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ (احتجر حجيرة) (فَـ) خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ منْ جَوْف اللَّيْل، فَصَلَّى في المَسْجد، فَصَلَّى رجَالٌ بِصَلاته، فَأَصْبَحَ النَّاسُ،(فطفق رجال)، (يذكرون) فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ (من القابلة) أَكْثَرُ منْهُمْ، فَصَلَّوْا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ المَسْجد منَ اللَّيْلَة الثَّالثَة، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَصَلَّوْا بِصَلاَته، فَلَمَّا كَانَت اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ (غَصَّ) المَسْجدُ عَنْ أَهْله (فلم يخرج إليهم)، (فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا البَابَ) حَتَّى خَرَجَ لصَلاَة الصُّبْح، فَلَمَّا قَضَى الفَجْرَ (أصبح) أَقْبَلَ عَلَى النَّاس، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ (شأنكم)، مَكَانُكُمْ،(قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني) (لَكنِّي) خَشيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا، (وذلك في رمضان)». صحيح البخاري (ح ٩٢٤).

هذه رواية البخاري، وما بين الأقواس ألفاظ عند مسلم وأحمد وأبي داود وغيرهم.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (١٢/٣): «صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ في المَسْجد» تَقَدَّمَ منْ رِوَايَة عَمْرَةَ عَنْ عَائشَةَ أَنَّهُ صَلَّى في حُجْرَته وَلَيْسَ المُرَادُ بهَا بَيْتَهُ وَإِنَّمَا المُرَادُ الحَصيرُ الَّتي كَانَ يَحْتَجِرُهَا باللَّيْل في المَسْجد فَيَجْعَلُهَا عَلَى بَاب بَيْت عَائشَةَ فَيُصَلِّي فيه وَيَجْلسُ عَلَيْه بالنَّهَار. قَالَ النَّوَوِيُّ: شرح النووي على مسلم (٦٩/٦): وَمَعْنَى احْتَجَرَ حُجْرَةً أَيْ حَوَّطَ مَوْضعًا منَ المَسْجد بحَصيرٍ ليَسْتُرَهُ ليُصَلِّيَ فيه وَلا يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْه مَارٌّ وَلا يَتَهَوَّشَ بغَيْره وَيَتَوَفَّرَ خُشُوعُهُ وَفَرَاغُ قَلْبه. وَفيه جَوَازُ مثْل هَذَا إذَا لَمْ يَكُنْ فيه تَضْييقٌ عَلَى المُصَلِّينَ وَنَحْوِهِمْ وَلَمْ يَتَّخذْهُ دَائمًا لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ يَحْتَجِرُهَا باللَّيْل يصلي فيها وينحتها بالنَّهَار وَيَبْسُطُهَا، ثُمَّ تَرَكَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ باللَّيْل وَالنَّهَار وَعَادَ إلَى الصَّلاَة في البَيْت.

لماذا سميت بصلاة التراويح ؟

قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: سميت تراويح، لأن السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا يقومون رمضان ويطيلون القيام والركوع والسجود، فإذا صلوا أربع ركعات يعني بتسليمتين استراحوا، وإذا صلوا أربعا استراحوا، ثم يصلون ثلاثا، وهذا يؤيده حديث عائشة رضي الله عنها السابق، كان يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة، يعني ما يُلزم لكنه يرغب، يقول: من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

بالمؤمنين رؤوف رحيم

يظهر من الحديث شفقته صلى الله عَلَيْه وَسلم على أمته خشيَةَ أن تُكْتب عَلَيْهم صَلاَةُ اللَّيْل فيعجزوا عَنْهَا، فَترك الْخُرُوج لئَلاَّ يخرج: ذَلك الْفعْل منْهُ.

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ٦٩/٦: «وَفيه بَيَانُ مَا كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَيْه منَ الشَّفَقَة

عَلَى أُمَّتِهِ وَمُرَاعَاةِ مَصَالِحِهِمْ وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِوُلَاةِ الْأُمُورِ وَكِبَارِ النَّاسِ وَالْمَتْبُوعِينَ فِي عِلْمٍ وَغَيْرِهِ الِاقْتِدَاءُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وفي روايةٍ: فَلَمَّا قَضَى صَلَاةَ الْفَجْرِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ (شَأْنُكُمْ)، اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ».

وقال أيضا ٤١/٦: «وَفِيهِ إِذَا تَعَارَضَتْ مَصْلَحَةٌ وَخَوْفُ مَفْسَدَةٍ أَوْ مَصْلَحَتَانِ اعْتُبِرَ أَهَمُّهُمَا، لِأَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ رَأَى الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ مَصْلَحَةً لِمَا ذَكَرْنَاهُ، فَلَمَّا عَارَضَهُ خَوْفُ الِافْتِرَاضِ عَلَيْهِمْ تَرَكَهُ لِعِظَمِ الْمَفْسَدَةِ الَّتِي يَخَافُ مِنْ عَجْزِهِمْ وَتَرْكِهِمْ لِلْفَرْضِ، وَفِيهِ أَنَّ الْإِمَامَ وَكَبِيرَ الْقَوْمِ إِذَا فَعَلَ شَيْئًا خِلَافَ مَا يَتَوَقَّعُهُ أَتْبَاعُهُ وَكَانَ لَهُ فِيهِ عُذْرٌ يَذْكُرُهُ لَهُمْ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ وَإِصْلَاحًا لِذَاتِ الْبَيْنِ لِئَلَّا يَظُنُّوا خِلَافَ هَذَا، وَرُبَّمَا ظَنُّوا ظَنَّ السُّوءِ».

وانظر في ذلك أيضا كلام ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (١٠٠/٢)، وانظر عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٧٣/٤)؛ والعيني في عمدة القاري ٢٦٤/٥.

حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها:

قال البدر العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧٨/٧) : صلاة التَّراويح سنة وَأما أداؤُها بِالْجَمَاعَة فمستحب.

ووَقتهَا بعد الْعشَاء وَقبل الْوتر عندنَا وَهُوَ قَول عَامَّة مَشَايِخ بُخَارى وَالأَصَح أَن وَقتهَا بعد الْعشَاء إِلَى آخر اللَّيْل قبل الْوتر وَبعده، وَفِي الْمَبْسُوط الْمُسْتَحبّ فعلهَا إِلَى نصف اللَّيْل أَو ثلثه كَمَا فِي الْعشَاء. وَأكْثر الْمَشَايِخ على أَن السّنة فِيهَا الْختم فَلَا يتْرك لكسل الْقَوْم. انتهى بتصرف يسير.

قال ابن عثيمين رحمه الله شرح رياض الصالحين (٢١٧/٥): «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». رواه مسلم.

وقام النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثلاث ليال في رمضان، يصلي بهم جماعة، ثم تأخر وقال: إني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتركه، وبقي الناس (أي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) يأتون إلى المسجد يصلون الرجلين والثلاثة كل يصلي مع صاحبه، فخرج عمر ذات ليلة فوجدهم يصلون أوزاعا، فرأى رضي الله عنه بثاقب رأيه أن يجمعهم على إمام واحد، فأمر أبي بن كعب رضي الله عنه وآخر معه أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة، فاجتمع الناس على إمام واحد في التراويح، وبقي المسلمون على هذا إلى يومنا هذا، لكن اختلف العلماء في عدد ركعات التراويح، فمنهم من قال: إحدى عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث وعشرون ركعة، ومنهم من قال أكثر من ذلك، والأمر في هذا واسع لأن السلف الذين اختلفوا في هذا لم ينكر بعضهم على بعض، فالأمر في هذا واسع، يعني نحن لا ننكر على من زاد على إحدى عشرة ركعة، ولا على من زاد على ثلاث وعشرين ركعة.

ونقول: صل ما شئت ما دامت جماعة المسجد قد رضوا بذلك، ولم ينكر أحد. أما إذا اختلف الناس فالرجوع إلى السنة أولى، والسنة ألا يزيد على ثلاث عشرة ركعة، لأن عائشة سئلت كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان؟ فقالت: كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة.

فأما مع عدم الخلاف فإنه يصلي ثلاثا وعشرين أو أكثر، ما دام الناس لم يقولوا خفف، فإذا قالوا: خفف فلا يزيد على إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة. شرح رياض الصالحين (٢١٩/٥). والله الموفق.

وفي عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٧٣/٤): كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي جَمْعِهِ النَّاسَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هِيَ»، وَإِنَّمَا سَمَّاهَا بِدْعَةً بِاعْتِبَارِ صُورَتِهَا فَإِنَّ هَذَا الِاجْتِمَاعَ مُحْدَثٌ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَةِ فَلَيْسَتْ بِبِدْعَةٍ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِصَلَاتِهَا فِي بُيُوتِهِمْ لِعِلَّةٍ هِيَ خَشْيَةُ الِافْتِرَاضِ وَقَدْ زَالَتْ بِوَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فوائد من القصة:

قال ابن حجر في فتح الباري ١٤/٣: «وَفِي حَدِيثِ الْبَابِ مِنَ الْفَوَائِدِ غَيْرِ مَا تَقَدَّمَ نَدْبُ قِيَامِ اللَّيْلِ وَلَا سِيَّمَا فِي رَمَضَانَ جَمَاعَةً لِأَنَّ الْخَشْيَةَ الْمَذْكُورَةَ أُمِنَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِذَلِكَ جَمَعَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَفِيهِ جَوَازُ الْفِرَارِ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، قَالَهُ الْمُهَلَّبُ، وَفِيهِ أَنَّ الْكَبِيرَ إِذَا فَعَلَ شَيْئًا خِلَافَ مَا اعْتَادَهُ أَتْبَاعُهُ أَنْ يَذْكُرَ لَهُمْ عُذْرَهُ وَحُكْمَهُ وَالْحِكْمَةَ فِيهِ، وَفِيهِ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنَ الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالِاكْتِفَاءِ بِمَا قَلَّ مِنْهَا وَالشَّفَقَةِ عَلَى أُمَّتِهِ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ، وَفِيهِ تَرْكُ بَعْضِ الْمَصَالِحِ لِخَوْفِ الْمَفْسَدَةِ وَتَقْدِيمُ أَهَمِّ الْمَصْلَحَتَيْنِ، وَفِيهِ تَرْكُ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لِلنَّوَافِلِ إِذَا صليت جماعة». (فتح الباري، بتصرف).

تقبل الله تعالى منا ومنكم، وبلغنا وإياكم الشهر الكريم، وجعلنا فيه من الفائزين. آمين.

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ

الْحَمْدُ للهِ عَلَى جَلائِلِ نِعَمِه، وَفَوَاضِلِ آلائِه وَقِسَمِه، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَيْرِ بَرِيَّتِه مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِه، وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى دِينِه وَمِلَّتِه، وَبَعْدُ.

إعداد/ د. عماد عيسى

فإنَّ اللهَ تَعَالَى نَعَتَ شَهْرَ رَمَضَانَ: (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) (البقرة: ١٨٤). وَهَذا يَعْني صَراحَةً قلَّةَ هَذِه الأيَّام وَسُرْعَةَ انْقِضائِها قَبْلَ قَضاءِ الْوَطَرِ واسْتِيفاءِ المُرادِ منْها إلا مَا شَاءَ اللهُ تَعالَى.

كَمَا يَقْتَضِي مَعْنَاهَا ضِمْنيًّا خفَّةَ هَذِه الْعِبَادَة عَلَى أَهْلِ الإيمَانِ مَعَ مَا فِيهَا منَ المَشَقَّةِ الَّتِي تَقَعُ منْ جَرَّاءِ مُخَالَفَةِ المَألُوفِ وَتَرْك المُعْتَاد منَ الْحَلالِ المَعْرُوفِ- طعَامًا وَشَرابًا وَنكَاحًا- مَعَ مُجَاهَدَةِ النَّفْس بالانْصِرَاف عَنْ قُوَاهَا الغَضَبِيَّة وَطِبَاعِهَا الشَّهْوَانيَّة، وَالْعُزُوف، ممَّا يَتَّفِقُ مَعَ تَحْقِيق التَّقْوَى كما في النِّداءِ الإلَهِيِّ الَّذي تَجِدُ فيه رُطُوبَةَ الإيمَانِ وَنَسيمَ المَحَبَّة وَلُطْفَ المُنَاجَاة منْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَذلِكَ في صَدْرِ آيَة الصِّيَام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣).

وَمَعْنَى "مَعْدُودَات" أي: قليلاتُ الْعَدد قصيراتُ المُدد.

قَالَ الألُوسيُّ: "(أيَّاما مَعْدُودات) أيْ مُعيَّنَات بالْعَدِّ أَوْ قليلاتٍ لأَنَّ الْقَليل يَسْهُل عَدُّهُ فَيُعَدُّ والْكَثير يُؤْخَذُ جُزَافًا".

سُبُلُ الظَّفر بغَنيمة رَمَضان:

إنَّ مَنْ أَرَادَ اغْتنَامَ زَمَانَ رَمَضَانَ يَلْزَمُهُ أنْ يَأْخُذَ بأُمُور:

أَوَّلا: شَغْلُ وَقْته وإعْمارُه بالأعْمَال الصَّالحة:

وهَذا هُوَ الرُّكْنُ الأَعْظَمُ في الفَوْزِ بجَوَائز رَمَضانَ الَّتي تُعْطى لأهْلها صَبيحَةَ يَوْم العيد ويَظْهَرُ بهَا المَرْحُومُ من المَحْرُوم، وَيَتَمَيَّزُ بهَا الشَّقيُّ منَ السَّعيد.

فيَنْبَغي للمُسْلم أنْ يَجْتَهدَ في الْعَمَل الصَّالح لا سيَّمَا في أيَّام الْبَرَكة، وَأَزْمنَة مُضَاعَفَة الأُجُور، وأوْقَات كثْرة المنَح، وأنْ يَعْمَلَ على تَحْصيل أَسْبَاب الْفَوْز والظَّفر بأَطْوَاق النَّجَاة لئلاَّ يَنْزِل إلَى الدَّرْكَ وَالدُّون وَيَحْصُلَ على صَفْقة المَغْبُون ؛ فيَخْرُجَ من الشَّهْر بالحرْمَان وَيَخْسَرَ الْبشَارَة بالْجنَان وَفَوَات الْغُفْرَان وهَذا وَاللهِ هُوَ الخذْلانُ الذي نَتَعَوَّذُ بالله منْه.

ثَانيًا: الإقْلالُ منَ الشَّهَوات:

وَإنَّما عَبَّرْتُ بالإقْلال لأَنَّ امْتنَاعَ المَرْءِ منَ التَّمَتُّع بهَا أَمْرٌ يُشْبهُ المُحَال، إنَّمَا المُسْتَنْكَرُ في ذَلكَ الاتِّسَاعُ فيهَا وَالاشْتغَالُ بهَا وَجَعْلُهَا قَصْدًا منْ القُصُود وَغَرَضًا منَ الأَغْرَاض قَالَ تَعَالَى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ) (الأحقاف: ٢٠).

ثُمَّ إنَّ منَ الشَّهَوات مَا أَبَاحَهُ اللهُ تعالى وَلَيْسَ في تَنَاوُله مَضَرَّةٌ بَلْ رُبَّمَا كَانَ في التَّمَتُّع بهَذه الشَّهْوَة نعْمَةٌ عَظيمَةٌ وَسَدٌّ لبَاب فتَن جَسيمَة كَشَهْوَة النِّكَاح والطَّعَام والشَّرَاب وَطَيِّبَات الْحَيَاة منَ الرِّزْق « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » (الأعراف: ٣٢).

لهَذا كَانَ السَّلَفُ يَتَقَلَّلُونَ منَ الشَّهَوات بكُلِّ مَا يَسْتَطيعُونَ وَيَرْضَوْنَ بقَليل الدُّنْيا.

قَالَ صَفْوَانُ بنُ سُلَيْم: إذَا أَكَلْتُ رَغيفًا سَدَّ بَطْني وَشَربْتُ كُوزًا منْ مَاءٍ فَعَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلهَا الْعَفَاءُ. (تذكرة الحفاظ: ٢/٦٠٧).

ثالثًا: اجتناب الناس إلا من الخير:

مُخالطةُ النَّاس أَصْلُ التَّخْليط، وبَابٌ واسعٌ للذُّنوب وَالخطايا وَسَببٌ كل تَفْريط، فَالعَاقلُ الَّذي يُغْلقُ هذا البَابَ وَيَسْتريحُ مِنْ عَناء المَآثم وَوعْثاء المَحارم.

وَالسَّبيلُ الأَرْشَدُ وَالطَّريقُ الأقْصَدُ إلى اغْتنام أَيَّام رَمَضَانَ يَكادُ يَجْتمعُ في عَدم الخُلْطة بالنَّاس وَفي الإقْلال- قَدْرَ الإمْكان- من غشْيان مَجالسهمْ إذ إنَّ أَنْفاسَ النَّاسِ دُخانُ القُلوبِ الَّذي يَخْنُقُها، وَيعُوقُها عَنْ مُباشَرة أَعْمالها، وَيقْطعُ سَيْرَها إلى ربِّها تعالى وَلهذا قيلَ: الاسْتئْناسُ بالنَّاس منْ علامَات الإفْلاس، يَعْني الإفْلاسَ وَالإمْلاقَ منَ العَمَل الصَّالح.

قالَ ابْنُ عَوْن: "ذكْرُ النَّاس دَاءٌ، وَذكْرُ الله دَوَاءٌ".

رابعًا: إدارة الوقت واليوم:

الوقْتُ رَأْسُ مَالِ العَبْد، وَأُسُّ بضَاعَته، وَأَسَاسُ تجارته مَعَ الله تعالى ؛ فَيَنْبَغي للمسلم أن يُعْمل نفسَه في جمْعه وأن يَشْغلها بحفظه فلا يَتعطَّل مَع العَاطلينَ ولا يَتبطَّل مع البطَّالين ولا يلجأ إلى التَّرخص فيه كيْ لا يَكون وقته دُولة بيْن يدي خليل أو نديم فيَنْدم يوم لا ينفع الندم، ويعض على يديه ولات حين مَنْدم.

وهذا طرَفٌ منْ أحوال السَّلف في عباداتهم يَبْعثُ الهمَمَ منْ مَرْقدها ويُحْيي مَواتها ويَبْعثُها.

١- الصَّلاة:

كانَ السَّلفُ من الصَّحابة وَالتَّابعينَ وأتباعهم على قدْر كَبير منَ الصَّبْر على طُول الصَّلاة فمنْهُمْ مَنْ كَانَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَمنْهُمْ مَنْ يُصلِّي اللَّيْلَ وَالنَّهارَ مَعًا ومنهم من يَبْلُغُ منَ السِّنِّ مَبْلغًا تَهنُ منْهُ عظامُه ومَع ذلكَ يُطيلُ الصَّلاة.

قالَ إبْراهيم النَّخعي: "كانَ عَمْرو بنُ مَيْمون لَمَّا كبر أوتدَ له في الحائط فإذا سَئمَ منَ القيَام لله تعالى اسْتَعان بالوَتد". (تذكرة الحفاظ: ١/٦٥).

٢- التلاوة:

القُرْآنُ غذاءٌ للصَّالحينَ ودَواءٌ وشفاءٌ للعَاصينَ فطُوبَى لمَنْ أُلْهم تلاوتَه ورُزقَ إدْمانَ قراءته لا سيَّمَا في رمضان وهُو الشهر الذي أُنزل فيه.

قالَ ابْنُ إسْحاق: ابْتدئ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلَّم بالتَّنْزيل في رَمَضان، قالَ الله تعالى: « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ » (البقرة: ١٨٥). وقال تعالى: «إنَّا أنزَلْنَاهُ في لَيْلَة مُبارَكة» (الدخان: ٣). (السير: ١/١٠٩).

وَقدْ كانَ السَّلفُ لَهُمْ دَوِيٌّ بالقُرآن كَدَوِيِّ النَّحْل.

٣- الذِّكْر:

كانَ الذِّكْرُ لهؤلاء القَوْم كالماء للسَّمك لا يَكادُ يَفْتُرُ أَحَدُهُمْ عَنْهُ ولا يَملُّ منْهُ وهذا طرَفٌ منْ حَالهم.

قيلَ لأبي الدَّرْداء- وكَانَ لا يَفْتُر منَ الذِّكْر-: كَمْ تُسبِّحُ في كُلِّ يَوْم؟

قال: مائةَ ألْف، إلاَّ أنْ تُخْطئَ الأَصَابعُ (السير: ٢/٣٤٨).

٤- الدُّعاء:

وقدْ جاءَ الحَديثُ عَن الدُّعاء مَقْرُونًا بآيَات الصِّيَام، قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦).

وفي هَذا إشَارةٌ إلى العَلاقة الرَّابطة بَيْنَ الصِّيَام وَالدُّعاء إذْ إنَّ الدُّعاءَ يَحْتاجُ إلى طَهارَة من الذُّنوب وتَوْبَة نَصُوح منْها مَعَ التَّغلُّب على الشَّهْوة وَزَوال الغَفْلة وَاجْتمَاع القَلْب عَلَى الله تَعالَى وهَذا كُلُّهُ يَتحقَّقُ بالصِّيَام.

وَإذَا انْتفَتْ هَذه الأُمُورُ وَغلَبَت العَبْدَ شَهْوَتُهُ وَاسْتوْلَتْ عَلَيْه الغَفْلةُ تَخلَّف أَثَرُ الدُّعاء أَوْ كَانَ أَثَرُهُ ضَعيفًا.

٥- البُكاء:

كَانَ السَّلفُ منْ شدَّة خَوْفهمْ يَغْلبُ عَلَيْهمُ البُكَاءُ في الصَّلاة وَالتِّلاوَة وَغَيْرهما.

قَالَ حَمَّادُ بنُ زَيْد: رَأَيْتُ ثَابتًا يَبْكي حَتَّى تَخْتلفَ أَضْلاعُهُ.

وَقالَ جَعْفرُ بنُ سُليْمان: بَكى ثَابتٌ حَتَّى كَادَتْ عَيْنُهُ تَذْهبُ، فكَلَّمَ في ذَلكَ فَقالَ: مَا خَيْرُهُمَا أنْ لَمْ تَبْكيَا وَأبَى أَنْ يُعَالجَ (تذكرة الحفاظ: ١/١٢٥).

وَهَذا مُحَمَّدُ بْنُ المُنْكَدر قيل: إنَّهُ تَهَجَّدَ لَيْلَةً فَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ فَسأَلَهُ إخْوانُهُ فَقَالَ: تَلوْتُ هَذه الآيَةَ: (وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ) (الزمر: ٤٧).

٦- المُحاسبة:

كَانَت المُحَاسَبَةُ عُنْوَانُ السَّلف في أَعْمالهمْ إذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ تَرْكَ المُحَاسَبة بَابَةُ الإهْمَال وَالتَّفْريط الَّتي يَنْدمُ المَرْءُ عَلَيْهَا يَوْمَ القيَامَة أَشَدَّ النَّدَم (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ) (الزمر: ٥٦).

خامسًا: إدْمانُ النظر في أحوال السَّلف ومَواعظهم:

مَنْ طَالعَ سيرَ السَّلف وَوَجَدَ تَراجمَهُمْ مُوشَّحَةَ الصُّدُور بالفَضَائل وَالمَنَاقب آمَنَ أَنَّها - أَيْ سيرهم- جُنْدٌ منْ جُنود الله يُثْبّتُ بهَا مَنْ يَشَاءُ منْ عبَاده وَيَهْدي بهَا مَنْ أَرَادَ به الخَيْرَ.

هَذَا مَا يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى ممَّا سَمَحَتْ به القَريحَةُ مَعَ عَدم فرَاغ البَال وَتَقسُّم القَلْب وَتَشعُّب الهَمِّ وَاللهُ تَعَالَى المَسْئولُ أَنْ يَرْفَعَ عَنَّا مَا بنَا وَأَنْ يُخَفّفَ عَنَّا مَا أَنَاخ ببَابنَا، وَأَنْ يَشْفيَ مَرْضَانَا وَأَنْ يَخْتمَ لَنَا وَلَهُمْ بخَيْر، وَمنَ الله تَعَالَى أَسْتَمدُّ السَّدَادَ وَأَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ عَلَى سَبيل الرَّشَاد إنَّهُ كَريمٌ جَوَاد.

والحمد لله رب العالمين.

احذر هذه البدعة

إعداد/ سيد عباس الجليمي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد :

فلقد مَنَّ الله عليَّ بكتابة مقالات عديدة سابقًا في هذا الباب بمجلة التوحيد الغراء، ثم قضى الله أن يتوقف هذا الباب، ثم أذن الله لنا بمنه وكرمه بالعود، والعود أحمد، ثم شاء الله أن يكون ذلك أوله شهر رمضان جعله الله شهر يمن وخير وبركة.

وشهر رمضان موسم طاعات وقربات وعبادات متنوعة من: صيام، وقيام، واعتكاف، وتلاوة قرآن، وصدقة، وإحسان، وذكر، ودعاء، واستغفار؛ والعاقل من استثمر هذا الموسم العظيم في رجاء نيل موعود ربه الكريم على لسان نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم إذ أرشد المسلمين إلى الاجتهاد فوسم من ضيع الشهر بالخسران فقال: «خاب وخسر قيل من يا رسول الله قال : من أدرك رمضان فلم يغفر له»... الحديث.

وكما أن هذا الحفز والإرشاد يكون بالطاعات فكذلك يكون بالتحذير من المخالفات وأول هذه المخالفات أن يكون العمل على غير هدي نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم وقد قال : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ولما كان الأمر كذلك ومن محبتنا لديننا وصيانته ولنبينا واتباعه ولإخواننا شفقة ولمجتمعنا ديانة فإننا ننصح لأنفسنا تحذيرا من الوقوع في مثل هذه المخالفات والتي منها:

١ - تقديم وقت الإمساك عن وقته الأصلي:

قال الله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ » (البقرة : ١٨٧).

فالله جعل غاية لجواز الأكل والشرب، وهذه الغاية تنتهي بتبيِّن طلوع الفجر الصادق؛ فمن خالف هذا فقد خالف ما أذن به الله .

وقد سئل العلامة ابن عثيمين رحمه الله: نرى بعض التقاويم في شهر رمضان يوضع فيه قسم يسمى: «الإمساك»؛ وهو يُجعل قبل صلاة الفجر بنحو عشر دقائق، أو ربع ساعة، فهل هذا له أصل من السنة، أم هو من البدع؟ أفتونا مأجورين؟

فأجاب فضيلته بقوله: «هذا من البدع، وليس له أصل من السنة، بل السنة على خلافه، لأن الله قال في كتابه العزيز: «وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ...الآيات» ....، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك

المتنطعون». (مجموع فتاوى ورسائل الإمام ابن عثيمين: ١٩/٢٩١، ٢٩٢).

٢- التلفظ بنية الإمساك (الصوم):

إذ إن النية محلها القلب، والتلفظ بها في جميع العبادات- والصوم من هذه العبادات- بدعة محدثة.

قال الألباني-رحمه الله-: «واعلم أنه لا يشرع التلفظ بالنية لا في الإحرام، ولا في غيره من العبادات؛ كالطهارة، والصلاة، والصيام، وغيرها، وإنما النية بالقلب فقط، وأما التلفظ بها فبدعة.(ينظر: حجة النبي-صلى الله عليه وسلم- »(ص٤٩).

٣- تأخير أذان المغرب بدعوى تمكين الوقت:

والتي أدت بالتالي إلى بدعة أخرى، وهي: تأخير الفطور؛ والذي في تعجيله عنوان بقاء الخيرية في الأمة الإسلامية، وعلامة ظهور الملة المحمدية؛ حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني- رحمه الله فيما يتعلق بتأخير الفطور وتعجيل السحور: «... وقد جرّهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت-زعموا-، فأخّروا الفطور، وعجّلوا السحور، وخالفوا السُّنة؛ فلذلك قلّ عنهم الخير، وكَثُر فيهم الشر، والله المستعان». (فتح الباري: ٤/٧١٣).

التسحير: وهو إيقاظ الناس وتنبيههم على السحور، وهو من البدع المحدثة بأي طريقة كان سواء كان بقراءة

الأذكار، أو بالطبلة والشبابة والغناء، أو بالبوق والنفير، أو بالمنادة من على المآذن بمكبرات الصوت، أو بالدّق على أبواب البيوت.

قال ابن الحاج المالكي-رحمه الله-: «اعلم أن التسحير لا أصل له في الشرع الشريف؛ ولأجل ذلك اختلفت فيه عوائد أهل الأقاليم، فلو كان من الشرع ما اختلفت فيه عوائدهم». (المدخل: ٢/٢٥٥).

٤- تعجيل السحور:

وهذا خلاف ما كان معهوداً زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ إذ أن السّنة تأخير السحور. وانظر كلام الحافظ ابن حجر-رحمه الله- السابق ذكره.

٥- المناداة لصلاة التراويح (القيام):

بقولهم: «الصلاة جامعة»، أو «صلاة التراويح قياماً من شهر رمضان يرحمكم الله»، ونحو ذلك مما لم يثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم.

٦- التزام المصلين أذكاراً وأوراداً ليس لها أصل بعد كل ركعتين:

قال ابن الحاج المالكي رحمه الله في «المدخل»(٢/٢٩٣، ٢٩٤): «وينبغي له أن يتجنب ما أحدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح، ومن رفع أصواتهم بذلك، والمشي على صوت واحد؛ فإن ذلك كله من البدع.

٧- الاستعاضة عن: «آمين» بعبارات لم تثبت:

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «جواب المأموم على مواطن الذكر من قنوت الإمام بلفظ: «حقاً» أو «صدقت» أو «صدقاً وعدلاً» أو «أشهد» أو «حق»، ونحو ذلك، كلها لا أصل لها». «تصحيح الدعاء»(ص٤٢٣).

٨- تكلف السجع في الدعاء والإكثار منه، والاعتداء في الدعاء:

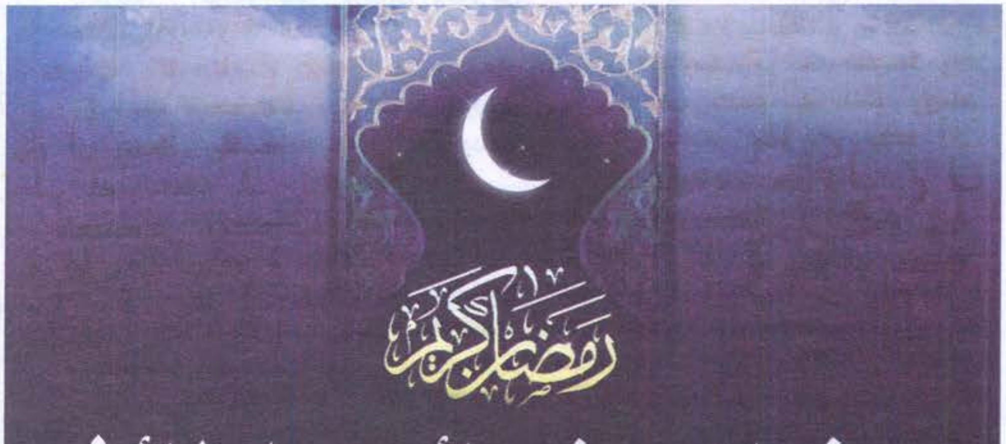
قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب» رواه البخاري (٦٣٣٧).

قال ابن الحاج المالكي رحمه الله: «وليحذر من السجع في الدعاء، والتنميق في ألفاظه؛ فإن ذلك ليس من الخشوع في شيء، وهو من محدثات الأمور، والمحل محل خضوع وانكسار، وذلك ينافيه». (المدخل: ٤/٢٣١).

٩- تلحين الصوت بالدعاء وترتيله على هيئة قراءة القرآن:

قال المناوي رحمه الله: «ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القراء في هذا الزمان يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال، وما ذاك إلا نوع لعب، فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه من: الخفض، والرفع، والتطريب، والترجيع كالتغني، نسب-ألبتة- إلى قصد السخرية واللعب، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التغني؛ فاستبان أن ذلك من مقتضيات الخيبة والحرمان». «فيض القدير»(١/٢٩٦).

نسأل الله القبول والتوفيق.



رمضان.. خصائص ولطائف

إعداد / صفوت الشوادفي (رحمه الله)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الكريم؛ إمام الصائمين والقائمين والعاكفين والصالحين...

وبعدُ:

فقد أظلنا شهر مبارك، كتب الله علينا صيامه، وسن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامه، فيه تفتح أبواب الجنة، وتُغلق أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، وقد بارك الله في هذا الشهر، وجعل فيه من الخصائص واللطائف، والعبر ما ليس في غيره من الشهور.

فمن لطائفه وعجائبه أنه أسرع قادم، وأسرع ذاهب، فإن شهور السنة- وهي جزء من عمر الإنسان- تمر مرَّ السحاب، ولا نشعر بذلك إلا بقدوم رمضان لسرعة عودته بعد رحيله.

وهو أسرع ذاهب، لأنه ما إن يبدأ حتى ينتهي، وتمر أيامه ولياليه مرور النسيم تشعر به ولا تراه.

وأعجب من ذلك كثرة دموع التائبين التي تنهمر في ليل رمضان كأنها سيل جار، أين كانت هذه الدموع الغزيرة عبر شهور كثيرة قد مضت وانقضت؟ لقد حبستها المعاصي، وسجنها القلب القاسي، ثم أطلقتها التوبة فسالت وانحدرت من مآقيها لتنقذ العين من عذاب الله ؛ لأنها بكت من خشية الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) (رواه الترمذي (١٦٣٩)).

وفي رمضان يقبل المسلمون في المشارق والمغارب على القرآن، في الليل والنهار، ويتنافسون على تلاوته في الصلاة وفي غير الصلاة، يدفعهم إلى ذلك رجاء رحمة الله، والخوف من عذاب الله.

كما يختص رمضان دون غيره من الشهور بكثرة التائبين والعائدين إلى الله، فهو شهر توجل فيه القلوب، وتدمع فيه العيون، وتقشعر فيه الجلود، وهذه الصفات الثلاثة كانت ملازمة للجيل الأول في كل شهور العام، كما أن هذه الصفات قد جعلها الله عز وجل علامة صادقة على الإيمان ؛ فقال سبحانه وتعالى عن الصفة الأولى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال : ٢).

وقال في الثانية : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) (الزمر : ٢٣).

وقال عن الثالثة : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ) (المائدة : ٨٣)، وقد أثمر هذا الإيمان الراسخ، واليقين الكامل عند السلف الصالح مجموعة من الخصال التي يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتي لا تجتمع أبدًا إلا في مؤمن صادق، ويجمعها عبد الله

بن مسعود رضي الله عنه في قوله: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون).

إنها: قيام ليل، وصيام النهار، وحزن وندم على التفريط والإسراف على النفس، وبكاء من شدة الخوف، وصمت يحفظ من الزلل، ويدعو إلى التفكر والتدبر، وخشوع محاط ببذل العبودية لله رب العالمين.

ويجتمع في رمضان من صنوف البر، وأوجه الخير أنواع كثيرة وافرة وكلها أبواب مفتوحة على الجنة، مفضية إلى رضوان الله، ومع كثرة الأبواب ووفرتها فإن المسلم قد يطرق بابًا واحدًا ويغفل عن بقيتها! فيحرم نفسه، ويضيع عمره هباءً!!

قد يصوم ولا يقوم، أو يقوم ولا يتصدق، أو يتصدق ولا يقرأ القرآن، أو يصوم بطنه ولا تصوم جوارحه، أو يصوم النهار ولا يصوم الليل! فيمتنع عن الحلال نهارًا (الأكل والشرب)، ويفطر على المعاصي ليلاً (الدخان والفيلم)، وإذا غلبك شيطانك في رمضان فإنك لن تغلبه غالبًا في غيره!! إلا أن يشاء الله.

ومن أعظم القربات، وأجلّ الطاعات التي غفل عنها الغافلون: تقديم النصيحة للمسلمين، ودعوتهم إلى الخير، وتعليم جاهلهم، وتذكير غافلهم، فإن الدال على الخير كفاعله، وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يرون النصيحة والموعظة أعظم أجرًا، وأبقى نفعًا من الصدقة!!

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى القرضي: أما بعد: فقد بلغني كتابك تعظني، وتذكر ما هو لي حظ، وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر، إن الموعظة كالصدقة، بل هي أعظم أجرًا، وأبقى نفعًا، وأحسن ذخرًا، وأوجب على المؤمن حقًا لكلمة يعظ بها الرجل أخاه ليزداد بها في هدًى رغبةً خيرٌ من مال يتصدق به عليه، وإن كان به إليه حاجة، ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا... ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر!!

وفي رمضان تقبل الأمة الإسلامية بكل شعوبها على الله إقبالاً لو استقامت عليه لنصرها الله على أعدائها، وأورثها سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة!

لكن الواقع يشهد أن كثيرًا من المسلمين يكون مع الطاعات في كرّ وفرّ؛ فهو بين الإقبال والإدبار، فهل من عودة صادقة واغتنام لفرصة سانحة قبل أن تتمنى ساعة واحدة من ساعات الدنيا فلا تُعطاها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآ﴾ (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)، وإن أكثر شيء في الأحياء الغفلة، وأكثر شيء في الأموات الندم على ما فات! فيا أيها المقبول هنيئًا لك بثواب الله عز وجل ورضوانه، ورحمته وغفرانه، وقبوله وإحسانه، وعفوه وامتنانه.

ويا أيها المطرود بإصراره، وطغيانه، وظلمه وغفلته، وخسرانه، وتماديه في عصيانه، لقد عظمت مصيبتك، وخسرت تجارتك، وطالت ندامتك، فأدرك نفسك قبل أن تكون من القائلين ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: ٢٤)، فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا وسائر أعمالنا الصالحات، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه

عزاء واجب

يتقدم مجلس إدارة المركز العام لأنصار السنة المحمدية، وأسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء إلى الوالد الحاج عطية حنفي في وفاة ابنه، رحمه الله رحمة واسعة، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كما تنعي أنصار السنة سكرتير فرع شوبك بسطة بالشرقية عزت فريد، رحم الله الفقيد رحمة واسعة.



الصيام

(صوم رمضان محكٌ للإرادات، وقمع للشهوات الجسمية، ورمز للتعبُد في صورته العليا، ورياضة شاقة على هجر اللذائذ والطيِّبات، وتدريب منظم على حمل المكروه من جوع وعطش وسكوت، ودرس مفيد في سياسة المرء لنفسه، وتحكُمه في أهوائها، وضبطه بالجدّ لنوازع الهزل واللغو والعبث فيها، وتربية عملية لخلق الرحمة بالعاجز المعدم، فلولا الصوم لما ذاق الأغنياء الواجدون ألم الجوع ولما تصوروا ما يفعله الجوع بالجائعين وفي الإدراكات النفسية جوانب لا يغني فيها السماع عن الوجدان، ومنها هذا؛ فلو أنَّ جائعًا ظلَّ وبات على الطوى خمسًا، ووقف خمسًا أخرى يصوِّر للأغنياء البطان ما فعل الجوع بأمعائه وأعصابه، وكان حاله أبلغ في التعبير من مقاله، لما بلغ في التأثير فيهم ما تبلغه جوعةٌ واحدةٌ في نفس غنيٍّ مترف).

إعداد/ محمد البشير الإبراهيمي

نشر عام (١٣٦٨هـ)

الإسلام دين تربية للملكات والفضائل والكمالات، وهو يعتبر المسلم تلميذًا ملازمًا في مدرسة الحياة، دائمًا فيها، دائبًا عليها؛ يتلقَّى فيها ما تقتضيه طبيعته من نقص وكمال، وما تقتضيه طبيعتها من خيرٍ وشرٍّ، ومن ثَمّ فهو يأخذه أخذ المربِّي في مَزيج من الرفق والعنف، بامتحاناتٍ دورية متكررة، لا يخرج من امتحان منها إلا ليدخل في امتحان؛ وفي هذه الامتحانات من الفوائد للمسلم ما لا يوجد عُشره ولا معْشاره في الامتحانات المدرسية المعروفة.

وامتحانات الإسلام متجلِّية في هذه الشعائر المفروضة على المسلم، وما فيها من تكاليف دقيقة، يراها الخليُّ الفارغ أنواعًا من التعبدات تُتلقَّى بالتسليم، ويراها المستبصر المتدبِّر ضروبًا من التربية شُرعت للتزكية والتعليم، وما يريد الله ليضيِّق بها على المسلم، ولا ليجعل عليه في الدين حرجًا، ولكن يريد ليطهره بها، وينمِّي ملكات الخير والرحمة فيه، وليقوِّي إرادته وعزيمته في الإقدام على الخير، والإقلاع عن الشر، ويروِّضه على الفضائل الشاقة، كالصبر، والثبات، والحزم، والعزم، والنظام، وليحرره من

تعبُّد الشهوات له وملكها لعنانه، وما زالت الشهوات الحيوانية موبقًا للآدمي، منذ أكل أبواه من الشجرة، حكمة من الله في تعليق سعادة الإنسان وشقائه بكسبه، ليحيا عن بيّنة، ويهلك عن بيّنة.

في كل فريضة من فرائض الإسلام امتحان لإيمان المسلم، ولعقله، وإرادته، ودع عنك الأركان الخمسة، فالامتحان فيها واضح المعنى بيّن الأثر؛ وجاوزها إلى أمّهات الفضائل التي هي واجبات تكميلية، لا يكمل إيمان المؤمن إلا بها، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في القول والعمل، والصبر في مواطنه، والشجاعة في ميدانها، والبذل في سبله، فكلُّ واحدة، أو في كلّ واحدة منها امتحان تكميلي للإيمان، تعلو فيه قيَمٌ، وتهبط قيَمٌ، وفي التوحيد امتحان لليقين، واليقين أساس السعادة، وفي الصلاة امتحان للإرادة، والإرادة أصل النجاح، وفي الحج امتحان للهمم بالسير في الأرض، وهو منبعُ العلم، وفي الصوم امتحان للصبر، والصبر رائد النصر، ونحن نريد من الامتحان هنا معناه العصري الشائع.

غير أنّ الصوم أعسرها امتحانًا؛ لأنّه مقاومة عنيفة لسلطان الشهوات الجسمية، ومقاوم الشهوات في نفسه أو في غيره قلّما ينتصر؛ فإن انتصر فقلّما يقف به الانتصار عند حدّ الاعتدال، بل كثيرًا ما يجاوزه إلى أنواعٍ من الشذوذ والتنطع، تأباها الفطرة والعقل، وهذه الروح المقاومة في الصوم هي التي راعتها الأديان والنّحل، فجعلت الصوم إحدى عبادتها، تَروض عليه النفوس المطمئنة، وتروض به النفوس الجامحة، ولكن الصوم في الإسلام يزيد عليها جميعًا في صوره ومدته، وفي تأثيره وشدته، فمدته شهر قمري متتابع الأيام، وصورته الكاملة فطم عن شهوات البطن والفرج واللسان والأذن، وكل ما نقص من أجزاء ذلك الفطام فهو نقص في حقيقة الصوم، كما جاءت بذلك الآثار الصحيحة عن صاحب الشريعة، وكما تقتضيه الحكمة الجامعة من معنى الصوم، فلا يتوهمنّ المسلم أنّ الصوم هو ما عليه العامة اليوم من إمساك تقليدي عن بعض الشهوات في النهار، يعقبه انهماك في جميع الشهوات بالليل، فإن الذي تشاهده من آثار هذا الصوم العرفي إجاعة البطن، وإظماء الكبد، وفتور الأعضاء، وانقباض الأسارير، وبذاءة اللسان، وسرعة الانفعال، واتخاذ الصوم شفيعًا فيما لا يحب الله من الجهر بالسوء من القول، وعذرًا فيما تبدر به البوادر من اللجاج والخصام والأيمان الفاجرة!! كلا، إنّ الصوم لا يكمل، ولا تتمُّ حقيقته، ولا تظهر حكمته ولا آثاره إلا بالفطام عن جميع الشهوات الموزّعة على الجوارح، وللأذن شهوات في الاستماع، وللعين شهوات في امتداد النظر وتسريحه على الجوارح كلّها، وإنّ له لضراوة بتلك الشهوات لا يستطيع حبسه عنها إلا الموفّقون من أصحاب العزائم القوية.

لذلك كان نبيُّنا إمام الأنبياء، وسيد الحكماء، أجود ما يكون في رمضان.

ورمضان نفحة إلهية تهُبُّ على العالم الأرضي في كلّ عام قمري مرة، وصفحة سماوية تتجلّى على أهل هذه الأرض، فتجلو لهم من صفات الله عطفه وبرّه، ومن لطائف الإسلام حكمته وسرّه، فلينظر المسلمون أين حظُّهم من تلك النفحة، وأين مكانهم في تلك الصفحة.

ورمضان "مستشفى" زماني يجد فيه كلُّ مريض دواء دائه، يستشفي فيه مرضى البخل بالإحسان، ومرضى

البطنة والنعيم بالجوع، والعطش، ومرضى الجوع والخصاصة بالشبع والكفاية.

ورمضان جبّار الشهور، في الدهور، مرهوب الصولة والدولة، لا يقبل التساهل ولا التجاهل، ومن غرائب شؤونه أن معظم صائميه من الأغفال، وأن معظم جنده من الأطفال، يستعجلون صومه وهم صغار، ويستقصرون أيامه وهي طوال، فإذا انتهك حرمته منتهك بثُوا حوله الأرصاد، وكانوا له بالمرصاد، ورشقوه ونضحوه، و(بهدلوه) وفضحوه، لا ينجو منهم مختفٍ ولا مختبئ في حان، ولا ماكر يغشُ، ولا آوٍ إلى عش، ولا متستر بحشّ، ولا من يغيّر الشكل، لأجل الأكل، ولا من يتنكر بحجاب الوجه، ولا بسفور الرأس، ولا برطانة اللسان، كأنما لكل شيء في خياشيمهم رائحة، حتى الهيئات والكلمات، وهم قوم جريحهم جُبار الجرح، وقتيلهم هدر الدم.

ورمضان مع ذلك كله مجلى أوصاف للوُصّاف: حرم أهل المجون مما يرجون، وحبس لهم من مطايا اللهو ما يُزجون، وأحال -لغمّهم- أيام الدجون، كالليالي الجون، فترحوا لتجلّيه، وفرحوا بتولّيه، ونظموا ونثروا، وقالوا فيه فأكثروا، وأطلّ على الشعراء بالغارة الشعواء، فهاموا وجُنّوا، وقالوا فافتنُوا، قال إمامهم الحكمي: إنّ أفضل يوم عنده أول شوال، وقال الغالون منهم والقالون ما هو أشبه بهم، ولو لم يكن لآخرهم (شوقي) إلا: (رمضان ولى).. لكفته ضلّة، ودخنًا في اليقين وعلّة، والرجل جديد، وله في العروبة باع مديد، وفي الإسلام رأي سديد، وفي الدفاع عنه لسان حديد، ونحن نعرفه، فلا نَفْرقه.

أما المعتدلون المراءون فمنهم القائل:

شهر الصيام مبارك
ما لم يكن في شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت في عين العذاب

ومنهم القائل:

يا أخا الحارث بن عمرو بن بكر
أشهورًا نصوم أم أعواما؟!
طال هـذا الشهر المبارك
حتى قد خشينا بأن يكون لزاما

أما الوصف العبقري، والوادي الذي طم على القَرِيّ، فهو قول الحديث الموحى: «الصوم لي وأنا أجزي به» وحديث الصادق: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» وحديث الصحيح «للصائم فرحتان» وقول الكتاب المكنون: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٣).

تهنئة واجبة

تتقدم أسرة التحرير بخالص التهاني للأخ الحبيب أحمد محمد عبد الصمد الديب، المعيد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية، بمناسبة حصوله على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير ممتاز، متمنين له دوام التوفيق والسداد.

عنهم

أحمد صلاح رضوان

فتاوى رمضانية

س: هل يجوز لصائم أن يستحم في البحر. وهل هذا الاستحمام يفطر الصائم كما يقول بعضهم؟

الجواب: الاستحمام في البحر وكذا الاغتسال بالماء للتبرد والتلفف بالثوب المبلول لا يفطر به الصائم وإن وجد برد الماء في باطنه. وأفتى الإمام أبو يوسف بعدم كراهته لما رواه أبو داود من أنه عليه السلام صب الماء على رأسه وهو صائم من العطش والحرارة وكان ابن عمر يبل الثوب ويلفه عليه وهو صائم ولأن في ذلك هونا له على أداء الصوم ودفع الضجر الطبيعي. ودخول جزء من الماء في الجسم بواسطة المسام لا تأثير له لأن المفطر إنما هو الداخل من المنافذ وقد كره الإمام أبو حنيفة ذلك لما فيه من إظهار الضجر في إقامة العبارة لا لأنه مفطر كما ذكره شارح الدر ومحشيه. (المفتي: حسنين محمد مخلوف).

استعمال معجون الأسنان في نهار رمضان

س: استعمال فرشة الأسنان مع معجون الأسنان وهو صائم وهل يجوز استعمال السواك أم لا؟

الجواب: إن المنصوص عليه شرعا أن إدخال الماء إلى الفم في المضمضة لا يفسد الصوم مادام لم يدخل شيء منه إلى جوف الصائم، وكذلك لا يفسده استعمال السواك في نهار رمضان رطبا كان السواك بالماء أو جافا، ومثل السواك في ذلك استعمال فرشة الأسنان سواء استعملها الصائم وحدها أو مع معجون أسنان مادام لم يبالغ في ذلك إلى درجة يتسرب معها شيء من المعجون إلى جوف الصائم. (المفتي: حسن مأمون).

س: ما حكم من تناول مفطرا مع النسيان، هل يبطل صومه، وماذا يجب عليه؟

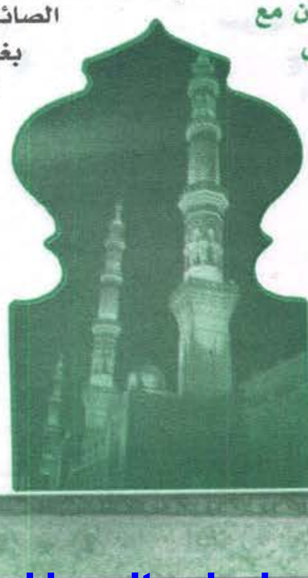
الجواب: روى أصحاب السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله رفع عن أمتي الخطأ وما استكرهوا عليه» رجاله ثقات وليست فيه علة قادحة، «فيض القدير» وروى الجماعة إلا النسائي أنه صلى الله عليه وسلم قال «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه» وروى الدارقطني بإسناد صحيح أنه قال «إذا أكل الصائم ناسيا أو شرب ناسيا فإنما هو رزق ساقه الله إليه ولا قضاء عليه». (المفتي: عطية صقر).

س: في إذا دخلت ذُبابة في حَلْق الصائم؟

الجواب: إذا دخلت الذبابة في حَلْق الصائم فإنه لا يُفطِر؛ لأن دخولها بغير اختيار من الصائم وفي الحديث: «عُفيَ عن أمتي الخطأ والنِّسيان وما استُكرِهُوا عليه». ومن المعلوم أن دخول مثل هذه الذبابة لا يكون إلا قسْرًا. (المفتي: عبد الحليم محمود).

س: حكم مَن تَقَيَّأ في رمضان هل يَصِح صومه؟

الجواب: القيء إذا خرج



قهرًا عن الإنسان فلا يُبطل صومه، أما إذا استقاء عامدًا بشمِّ شيء يَقيئه أو إدخال يده في فمه فإن صومَه فاسد وعليه القضاء فقط. روى أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «مَن ذرَعَه القيء- أي غلبه- فليس عليه قضاء، ومَن استقاء عمدًا فليَقْض». (المفتي: فتاوى عبد الحليم محمود).

س: في جواز صيام يوم العيد:

الجواب: لا يجوز للمسلم صيام يوم العيد لنهي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن صوم يوم عيد الفطر، ويوم عيد النحر، روى البخاري ومسلم- رضي الله عنهما- وغيرهما عن عمر أنه قال في خطبة عيد: «إن النبي- صلى الله عليه وسلم- نهى عن صيام هذين اليومين، أما يوم عيد الفطر ففطرُكم من صياكم، وأما يوم الأضحى فتأكلون من لحم نُسُككم، وإلى هذا يُشير قوله- تعالى- فيما يتعلق بعيد الفطر: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ فإكمال العدة- أي عدة الصيام- ومتى كمُلت العدة فلابد من الفطر ليتحقق هذا الإكمال. (المفتي: عبد الحليم محمود).

س: حكم التتابُع في القضاء؟

الجواب: أما حُكم القضاء من جهة التتابُع أو التفريق فللعلماء فيه رأيان: أحدهما. أنه يجب فيه التتابع، ويستند أصحاب هذا الرأي إلى حديث لم يصح عند أهل الحديث. والجمهور على أن صوم القضاء لا يجب فيه التتابُع، وإنما يَستحبُّون فيه وإن فرَّق صحَّ، ويستدلون بعُموم قوله- تعالى- في جانب القضاء ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. (المفتي: محمود شلتوت).

س: الترخيص للمريض في الفطر؟

(السؤال): اعتراه مرض بسبب عملية جراحية في شهر رمضان، فأفطر اثنَي عَشر يومًا ولم يقضها إلى الآن ويريد أن يكفر عن الصوم فكيف تكون الكفارة شرعًا؟ وطلب الجواب قبل حلول شهر رمضان التالي.

الجواب: المريض إذا غلَب على ظنه بأمارة أو تجربة أو إخبار طبيب مسلم حاذق أن صومه يُفْضي إلى هلاكه أو زيادة مرضه أو إبطاء شفائه أو نحو ذلك جاز له الفطر في رمضان شرعًا ووجب عليه قضاء ما أفطره من رمضان في أيام أُخَر ولا كفارة عليه قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. (المفتي: حسنين مخلوف).

حكم علاج الضِّرْس في الصوم

(السؤال): شخص اشتدت آلام ضِرْسه وهو صائم فاضطر لوَضْع بعض مواد طبية مثل روح القَرَنْفل، فهل يفطر بذلك؟

(الجواب): لا يُفْسد عندنا بوضع شيء من الزيت المعروف بروح القرنفل فوق الضرس وإن وجد الصائم طعمه في حلقه. وفي المحيط: «طعم الأدوية وريح العطر إذا وُجد في حلقه لا يفطر». اهـ. والله أعلم. (المفتي: حسنين مخلوف).

س: فتاة أتاها الحيض في السنة الحادية عشر من عمرها فهل يلزمها الصيام مع ملاحظة أنها لا تتمتع بصحة جيدة وفي حالة عدم قدرتها على الصيام ما الذي يترتب عليها؟

ج: إذا كان الواقع كما ذكرت لزمها الصيام لأن الحيض من علامات بلوغ النساء إذا جاءها وهي في التاسعة من عمرها فأكثر. فإذا استطاعت الصيام وجب عليها أداؤه في وقته وإذا عجزت أو نالها منه مشقة شديدة أفطرت ووجب عليها قضاء ما أفطرته من الأيام عند القدرة على ذلك. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: صامت المرأة وعند غروب الشمس وقبل الأذان بفترة قصيرة جاءها الحيض فهل يبطل صومها؟

ج: إذا كان الحيض أتاها قبل الغروب بطل الصيام وتقضيه، وإن كان بعد الغروب فالصيام صحيح ولا قضاء عليها. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: إن هناك بعض أصحاب الشاحنات والذين يعملون بها طيلة العام وهم مسافرون فهل يجوز لهم الإفطار في رمضان، ومتى يتم قضاؤه وفي أي وقت، أم لا يجوز لهم الإفطار؟



ج: إذا كانت المسافة التي يقطعونها في سفرهم مسافة قصر شرع لهم أن يفطروا في سفرهم وعليهم قضاء الأيام التي أفطروها من شهر رمضان قبل دخول رمضان المقبل؛ لعموم قوله تعالى: «وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ»، وإليهم اختيار الأيام التي يقضون فيها ما أفطروه من أيام رمضان جمعا بين دفع الحرج عنهم، وقضاء ما عليهم من الصيام. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: أيهما أفضل الصوم في السفر أو الفطر؟

ج: لقد دلت الأحاديث الكثيرة الصحيحة من أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم على أن الفطر للمسافر أفضل من الصوم وجدت مشقة أو لم توجد وإن الصيام في حقه جائز؛ لما روى الإمام مسلم رحمه الله عن حمزة بن عمرو الأسلمي أنه قال: « يا رسول الله أجد في قوة على الصيام في السفر فهل علي من جناح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه» (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: هل الإنسان في أيام رمضان إذا تسحر ثم صلى الصبح ونام حتى صلاة الظهر ثم صلاها ونام إلى صلاة العصر ثم صلاها ونام إلى وقت الفطر هل صيامه صحيح؟

ج: إذا كان الأمر كما ذكر فالصيام صحيح ولكن استمرار الصائم غالب النهار نائما تفريط منه، لا سيما وشهر رمضان زمن شريف ينبغي أن يستفيد منه المسلم فيما ينفعه من كثرة قراءة القرآن وطلب الرزق وتعلم العلم. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: بعض الناس أي العلماء أجازوا التذوق للمرأة للطعام في الصيام إذا كانت تريد أن تعرف مدى صلاحية الطعام، هل هذا صحيح، وقالوا: بشرط أن لا يصل الطعام إلى الحلق؟

ج: لا حرج في تذوق الإنسان للطعام في نهار الصيام عند الحاجة، وصيامه صحيح إذا لم يتعمد ابتلاع شيء منه. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: ما هي شروط الاعتكاف، وهل الصيام منها، وهل يجوز للمعتكف أن يزور مريضا، أو يجيب الدعوة، أو يقضي حوائج أهله، أو يتبع جنازة، أو يذهب إلى العمل؟

ج: يشرع الاعتكاف في مسجد تقام فيه صلاة الجماعة، وإن كان المعتكف ممن يجب عليهم الجمعة ويتخلل مدة اعتكافه جمعة ففي مسجد تقام فيه الجمعة أفضل، ولا يلزم له الصوم، والسنة ألا يزور المعتكف مريضا أثناء اعتكافه، ولا يجيب الدعوة، ولا يقضي حوائج أهله، ولا يشهد جنازة، ولا يذهب إلى عمله خارج المسجد؛ لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «السنة على المعتكف ألا يعود مريضا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه» (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: إذا أراد شخص أن يعتكف في العشر الأواخر من رمضان كلها في المسجد؛ فمتى يكون بدء دخوله المسجد، ومتى يكون انتهاء اعتكافه؟

ج٥: روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه». وينتهي مدة اعتكاف عشر رمضان بغروب شمس آخر يوم منه. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: الصائم إذا كان في الطائرة واطلع بواسطة الساعة وبالتليفون عن إفطار البلد القريب منه فهل له الإفطار؟ علما بأنه يرى الشمس بسبب ارتفاع الطائرة أم لا؟ ثم كيف الحكم إذا أفطر بالبلد ثم أقلعت به الطائرة فرأى الشمس؟



ج: إذا كان الصائم في الطائرة واطلع بواسطة الساعة والتليفون عن

إفطار البلد القريبة منه وهو يرى الشمس بسبب ارتفاع الطائرة فليس له أن يفطر؛ لأن الله تعالى قال: «ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ». وهذه الغاية لم تتحقق في حقه ما دام يرى الشمس. وأما إذا أفطر بالبلد بعد انتهاء النهار في حقه فأقلعت الطائرة ثم رأى الشمس فإنه يستمر مفطرا؛ لأن حكمه حكم البلد التي أقلع منها وقد انتهى النهار وهو فيها. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: هل يجوز للمرأة استعمال دواء لمنع الحيض في رمضان أو لا؟

ج: يجوز أن تستعمل المرأة أدوية في رمضان لمنع الحيض إذا قرر أهل الخبرة الأمناء من الدكاترة ومن في حكمهم أن ذلك لا يضرها، ولا يؤثر على جهاز حملها، وخير لها أن تكف عن ذلك، وقد جعل الله لها رخصة في الفطر إذا جاءها الحيض في رمضان، وشرع لها قضاء الأيام التي أفطرتها ورضي لها بذلك دينا. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: زوجتي قد وضعت مولودا قبل شهر رمضان المبارك بحوالي سبعة أيام، وطهرت قبل دخول شهر رمضان، هل صيامها تام أم يلزمها القضاء؟ علما أنها تقول صامت وهي طاهرة أفيدونا جزاكم الله خيرا.

ج: إذا كان الأمر كما ذكر وأن صيام زوجتك شهر رمضان في زمن الطهر فإن صيامها صحيح ولا يلزمها القضاء. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: لي والدة طاعنة في السن وعاجزة عن صيام شهر رمضان، وقد مضى عليها ثلاث سنوات وهي على هذه الحال من الكبر والمرض فماذا عليها؟

ج: إذا كان الواقع كما ذكرت وجب عليها أن تطعم عن كل يوم أفطرته من رمضان في السنوات الثلاث مسكينا، تطعمه نصف صاع من بر أو تمر أو أرز أو ذرة أو نحو ذلك مما تطعمون أهليكم. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: إني مريض بالسكر والصيام يؤثر علي وعمري اثنتان وسبعون سنة، وعندي بعض السهو في الصلاة ويجوز أن يكون من تأثير السكر والتفكير.

ج: إن كنت عرفت بالتجربة أن الصيام يزيد مرضك أو يؤخر برءك منه أو أخبرك طبيب مسلم مأمون حاذق بأن الصيام يضرك فأفطر، وعليك القضاء بعد الشفاء، وإن استمر بك المرض لا قدر الله ولم تستطع معه القضاء وغلب على ظنك أنه لا يزول فأطعم عن كل يوم أفطرته مسكينا نصف صاع من بر أو تمر أو أرز أو نحوها من الأطعمة التي تطعمها أهلك، نسأل الله لنا ولك التوفيق والشفاء. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: مصاب بمرض الكبد والطبيب أمره بالفطر لاستعمال الدواء وضعف تحمل الكبد ويذكر أنه يستطيع المشي إلى المسجد وإلى المستشفى ويسأل هل يسوغ له الفطر والحال ما ذكر؟

ج: إذا كان الأمر كما ذكره المستفتي من أنه مصاب بمرض في كبده وأن الطبيب أمره بالفطر فإذا كان الطبيب ذا ثقة وأمانة وخبرة في فنه فإن أمره بترك الصوم معتبر؛ لما يعرفه من حال المرض ومدى تحمل المريض الصوم من عدمه، وعليه أن يقضي ما يفطره بعد استطاعته. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

س: الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو على الولد في شهر رمضان وأفطرتا فماذا عليهما؛ هل تفطر وتطعم وتقضي، أو تفطر وتقضي ولا تطعم، أو تفطر وتطعم ولا تقضي؟ ما الصواب من هذه الثلاثة؟

ج: إن خافت الحامل على نفسها أو جنينها من صوم رمضان أفطرت وعليها القضاء فقط، شأنها في ذلك شأن المريض الذي لا يقوى على الصوم أو يخشى منه على نفسه مضرة، قال الله تعالى: «وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ». وكذا المرضع إذا خافت على نفسها إن أرضعت ولدها في رمضان، أو خافت على ولدها إن صامت ولم ترضعه- أفطرت وعليها القضاء فقط. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).



قصة الملائكة مع الصائمين من أول ليلة حتى يوم الفطر

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٩١)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص خاصة في شهر رمضان، وقد اغتر بهذه القصة الواهية كثير من الناس لاشتمالها على كثير من المجازفات، وإلى القارئ الكريم بيان حقيقة هذه القصة.

إعداد / علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوي عن أنس بن مالك أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « " إذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ نَادَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِضْوَانَ خَازِنَ الجَنَّةِ يَقُولُ: يَا رِضْوَانُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: زَيِّنِ الجِنَانَ لِلصَّائِمِينَ وَالقَائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لا تُغْلِقْهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ شَهْرُهُمْ، فَإِذَا كَانَ اليَوْمُ الثَّانِي أَوْحَى اللهُ إِلَى مَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ: يَا مَالِكُ، أَغْلِقْ أَبْوَابَ النِّيرَانِ عَنِ الصَّائِمِينَ وَالقَائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لا تَفْتَحْ حَتَّى يَنْقَضِيَ شَهْرُهُمْ، وَإِذَا كَانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ أَوْحَى اللهُ إِلَى جِبْرِيلَ: يَا جِبْرِيلُ، اهْبِطْ إِلَى الأَرْضِ، فَغُلَّ عَلَى مَرَدَةِ الشَّيَاطِينِ وَعُتَاةِ الجِنِّ، كَيْ لا يُفْسِدُوا عَلَى عِبَادِي صَوْمَهُمْ "، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ للهِ مَلَكًا رَأْسُهُ تَحْتَ العَرْشِ، وَرِجْلاهُ فِي تُخُومِ الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، لَهُ جَنَاحَانِ، أَحَدُهُمَا بِالمَشْرِقِ، وَالآخَرُ بِالمَغْرِبِ، أَحَدُهُمَا مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، وَالآخَرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ أَخْضَرَ، يُنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ صَاحِبِ حَاجَةٍ فَيُسْعَفُ لِحَاجَتِهِ؟ يَا طَالِبَ الخَيْرِ أَبْشِرْ، وَيَا طَالِبَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَأَبْصِرْ ". ثُمَّ قَالَ: " أَلا وَإِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عِنْدَ السَّحُورِ وَالإِفْطَارِ سَبْعَةَ آلافِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، قَدِ اسْتَوْجَبُوا العَذَابَ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ "، قَالَ: " فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ القَدْرِ يَهْبِطُ جِبْرِيلُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ المَلائِكَةِ، لَهُ جَنَاحَانِ أَخْضَرَانِ مَنْظُومَانِ بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، لا يَنْشُرُهُمَا جِبْرِيلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِلا لَيْلَةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ سورة القدر آية ٤ أَمَّا المَلائِكَةُ فَمِنْ تَحْتِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَأَمَّا الرُّوحُ فَهُوَ جِبْرِيلُ، فَيَمْسَحُ بِجَنَاحَيْهِ يُسَلِّمُ عَلَى القَائِمِ وَالنَّائِمِ وَالمُصَلِّي مَنْ فِي البَرِّ وَمَنْ فِي البَحْرِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُؤْمِنُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُؤْمِنُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ صَعِدَ جِبْرِيلُ وَمَعَهُ المَلائِكَةُ فَيَتَلَقَّاهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ، مَا فَعَلَ الرَّحْمَنُ بِالصَّائِمِينَ شَهْرَ رَمَضَانَ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: خَيْرًا، ثُمَّ يَسْجُدُ جِبْرِيلُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المَلائِكَةِ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلائِكَتِي، ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِلصَّائِمِينَ بِشَهْرِ رَمَضَانَ إِلا مَنْ أَبَى أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ، قَالَ: وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ لا يُسَلِّمُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَلَى مُدْمِنِ خَمْرٍ، وَلا عَشَّارٍ، وَلا سَاحِرٍ، وَلا صَاحِبِ كُوبَةٍ، وَلا عَرْطَبَةٍ، وَلا عَاقٍّ وَالِدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الفِطْرِ نَزَلَتِ المَلائِكَةُ فَوَقَفَتْ عَلَى أَفْوَاهِ الطُّرُقِ، يَقُولُونَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اغْدُوا إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، فَإِذَا صَارُوا عَلَى المُصَلَّى نَادَى

الجبَّارُ، فَقَالَ: يَا مَلائِكَتي، مَا جَزَاءُ الأجيرِ إِذَا فَرَغَ مِنْ عَمَلِه؟، قَالُوا: رَبَّنَا، جَزَاءُهُ أَنْ يُوَفَّى أَجْرَهُ، قَالَ: فَإِنَّ هَؤُلاءِ عِبَادي وَبَنُو عِبَادي، أَمَرْتُهُمْ بِالصِّيَام فَصَامُوا، فَأَطَاعُونِي، وَقَضَوا فَرِيضَتي، قَالَ: فَنَادَى مُنَادٍ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، ارْجِعُوا رَاشِدِينَ، قَدْ غُفِرَ لَكُمْ». اهـ.

ثانيا: التخريج:

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١١٢١/١٣٨/٣) قال: حدثنا جبرون بن عيسى المغربي بمصر قال: حدثنا يحيى بن سليمان القرشي مولى لهم، قال: حدثنا أبو معمر عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان أول يوم من شهر رمضان نادى الله تبارك وتعالى... القصة.

٢- وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٥٣٢/٢) (ح٨٧٩) من طريق الحافظ العقيلي فقال ابن الجوزي: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا محمد بن المظفر، قال: أخبرنا العيقي قال: حدثنا يوسف بن أحمد قال: حدثنا العقيلي حدثنا جبرون به.

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلته عباد بن عبد الصمد.

١- قال الإمام البخاري وهو أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله في كتابه «التاريخ الكبير» (٤١/٢/٣) (١٦٣٠): «عباد بن عبد الصمد منكر الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥٠٤): «وللبخاري في كلامه على الرجال توقٍ زائد وتحرٍ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل فإن أكثر ما يقول سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه ونحو هذا». اهـ.

قلت: وقول الإمام البخاري في عباد بن عبد الصمد: «منكر الحديث». يبين معناه الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٦/١) حيث قال: «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه».

٢- قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن الإمام أبي حاتم المتوفى سنة (٣٢٧هـ) في كتابه «الجرح والتعديل» (٨٢/١/٣): «عباد بن عبد الصمد أبو معمر البصري سكن إفريقية: سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث جدًا منكر الحديث لا أعرف له حديثا صحيحًا». اهـ.

٣- قال الإمام الحافظ ابن حبان المتوفى سنة (٣٥٤هـ) في كتابه «المجروحين» (١٧٠/٢): «عباد بن عبد الصمد، كنيته أبو معمر يروي عن أنس عداده في أهل البصرة، روى عنه أهلها منكر الحديث جدًا لا يجوز الاحتجاج به فيما وافق الثقات، فكيف إذا انفرد بالأوابد له نسخة أكثرها موضوعة». اهـ.

٤- قال الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة (٣٦٥هـ) في كتابه «الكامل» (٣٤٢/٤) (٤٠٢) (١١٧١) في بدء ترجمته: «عباد بن عبد الصمد أبو معمر يحدث عن أنس بالمناكير». ثم ختمها فقال: «عباد بن عبد الصمد له عن أنس غير حديث منكر وعامة ما يرويه في فضائل علي وهو ضعيف منكر الحديث، ومع ذلك غالٍ في التشيع». اهـ.

ثم أخرج له ما يدل على مناكيره وغلوه في التشيع ما حدث به عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلى عليَّ الملائكة وعلى عليَّ بن أبي طالب سبع سنين ولم يصعد أو يرتفع شهادة أن لا إله إلا الله من الأرض إلى السماء إلا مني ومن علي بن أبي طالب». اهـ.

٥- وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤١٢٨/٣٦٩/٢): «عباد بن عبد الصمد أبو معمر عن أنس بن مالك: بصري واهٍ». قال البخاري: منكر، ووهاه ابن حبان وقال: حدثنا ابن قتيبة، حدثنا غالب بن وزير الغزي، حدثنا مؤمل بن عبد الصمد الثقفي، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بنسخة أكثرها موضوعة.

٦- ثم بين الحافظ الذهبي أن هذه القصة موضوعة حيث نقل عن العقيلي أنه قال: حدثنا جبرون بن عيسى بمصر، حدثنا يحيى بن سليمان مولى قريش حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس، سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان أول ليلة من رمضان نادى الله رضوان خازن الجنة فيقول: زيّن الجنان للصائمين.. فذكر حديثا طويلا يشبه وضع القصاص». اهـ.

٧- قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١١٢١/١٣٨/٣): «عباد بن عبد الصمد أبو معمر عن أنس أحاديثه مناكير لا يعرف أكثرها إلا به». ثم أخرج هذه القصة دليلاً على هذه الأحاديث المنكرة، ثم ختم ترجمته فقال: «وله عن أنس فيها مناكير كثيرة». اهـ.

رابعًا: الاستنتاج

نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن القصة واهية، وعلتها عباد بن عبد الصمد أبو معمر منكر الحديث جدًا، لا تحل الرواية عنه، لا يجوز الاحتجاج به، ولا يعرف له حديث صحيح، وهو غالٍ في التشيع، واهٍ، ضعيف الحديث جدًا، والخبر الطويل الذي جاءت فيه هذه القصة يشبه وضع القصاص كما بينه آنفًا الإمام الحافظ الذهبي، وهذا ما دل عليه قول الإمام البخاري في عباد: منكر الحديث.

قال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «الباعث الحثيث» (ص٨٩): «وكذلك قول البخاري في الرجل: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث؛ فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

خامسًا: طريق آخر للقصة:

وحتى لا يتوهم البعض أن للقصة طريقًا آخر قد يجعل القصة ثابتة خاصة، وأن هذا الطريق من حديث أنس يتناول أيضًا: « قصة الملائكة مع الصائمين من أول ليلة حتى يوم الفطر».

ففيها نداء الله لرضوان خازن الجنة في أول ليلة، وفيها نداء الله لمالك خازن النار وفيها نداء الله لجبريل ليغل مردة الشياطين، وفيها الملك الذي رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، ووصف جناحيه، ونداؤه كل ليلة من شهر رمضان، وفي القصة أيضًا هبوط جبريل ومعه الملائكة ليلة القدر، وفيها نداء الله على الملائكة يوم الفطر.

هذه هي العناصر التي يتفق فيها طريقا القصة من حديث أنس وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق لهذا الطريق حتى يتبين له أن هذا الطريق لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

سادسًا: متن هذا الطريق:

رُوِيَ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « " إذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ نَادَى الْجَلِيلُ رِضْوَانَ خَازِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: نَجِّدْ جَنَّتِي، وَزَيِّنْهَا لِلصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، لا تُغْلِقْهَا عَنْهُمْ حَتَّى يَنْقَضِيَ شَهْرُهُمْ، ثُمَّ يُنَادِي مَالِكًا خَازِنَ جَهَنَّمَ يَا مَالِكُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَغْلِقْ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ عَنِ الصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، لا تَفْتَحْهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْقَضِيَ شَهْرُهُمْ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: انْزِلْ إِلَى الأَرْضِ فَغُلَّ مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ لا يُفْسِدُوا عَلَيْهِمْ صِيَامَهُمْ، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ وَقْتِ الإِفْطَارِ عُتَقَاءُ يُعْتِقُهُمْ مِنَ النَّارِ عَبِيدٌ وَإِمَاءٌ، وَلَهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مَلَكٌ يُنَادِي فِي غُرْفَةٍ تَحْتَ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ رَابِضٌ فِي تُخُومِ الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى لَهُ جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ مُكَلَّلٌ بِالْمَرْجَانِ، وَالدُّرِّ، وَالْجَوَاهِرِ، وَجَنَاحٌ لَهُ بِالْمَغْرِبِ مُكَلَّلٌ بِالْمَرْجَانِ، وَالدُّرِّ، وَالْجَوْهَرِ يُنَادِي: هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مَظْلُومٍ فَيُنْصَرُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ قَالَ: وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنَادِي الشَّهْرَ كُلَّهُ: عَبِيدِي وَإِمَائِي، أَبْشِرُوا أَوْشَكَ أَنْ أَرْفَعَ عَنْكُمْ هَذِهِ الْمَئُونَاتِ إِلَى رَحْمَتِي وَكَرَامَتِي، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَنْزِلُ جِبْرَايِلُ فِي كَوْكَبَةٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ يُصَلُّونَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ فِطْرِهِمْ بَاهَى بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، يَا مَلائِكَتِي، مَا جَزَاءُ أَجِيرٍ وَفَّى عَمَلَهُ؟ قَالُوا: رَبَّنَا جَزَاؤُهُ أَنْ نُوَفِّيَهُ أَجْرَهُ، قَالَ: عَبِيدِي، وَإِمَائِي قَضَوْا فَرِيضَتِي عَلَيْهِمْ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَيَّ يَعُجُّونَ بِالدُّعَاءِ وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي، وَعُلُوِّي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي، لأُجِيبَنَّهُمُ الْيَوْمَ، ارْجِعُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، وَبَدَّلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ، قَالَ: فَيَرْجِعُونَ

مَغْفورا لَهُمْ». اهـ.

سابعًا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة من هذا الطريق أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٧/٢) قال: أنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي، أنبأنا علي بن عمر، عن أبي حاتم البستي، حدثنا محمد بن يزيد الزرقي، حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا أصرم، حدثنا محمد بن يونس الحارثي، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان...» القصة.

ثامنًا: التحقيق:

١- الراوي الرابع في السند من جهة المصنف هو أبو حاتم البستي، وهو ابن حبان الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ولد بمدينة بست، وتوفي سنة ٣٥٤هـ.

وبين ابن الجوزي وبين ابن حبان في هذا السند ثلاثة رواة، حيث إن ابن الجوزي رواه من طريقه لذلك نجد أن ابن حبان أخرج هذا الخبر الذي جاءت به القصة بهذا الطريق في كتابه «المجروحين» (١٨١/١) في ترجمة أصرم، وهو علة هذا الطريق.

قال ابن حبان: «أصرم بن حَوْشَب الهمذاني الخرساني كان يضع الحديث على الثقات، سمعت يعقوب بن إسحاق يقول: سمعت الدارمي يقول: قلت ليحيى بن معين: فأصرم بن حوشب تعرفه؟ قال: كذاب خبيث». اهـ.

قلت: وبالرجوع إلى «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي» للإمام يحيى بن معين السؤال (١٦٨) قال: سألت يحيى بن معين قلت: فأصرم بن حوشب تعرفه؟ فقال: «كذاب خبيث». اهـ.

٢- وأورده الذهبي في «الميزان» (١٠١٧/٢٧٢/١) وقال: أصرم بن حوشب أبو هشام، قاضي همذان هالك، ثم نقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، وأقرها حيث نقل عن يحيى قوله: أصرم كذاب خبيث، وقال البخاري ومسلم والنسائي: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، وقال ابن المديني: كتبت عنه بهمذان، وضربت على حديثه.

ثم ذكر له هذا الطريق الذي جاءت به هذه القصة وجعلها من مناكيره، فقال: «وقال محمد بن يحيى الأزدي: حدثنا أصرم بن حوشب، حدثنا محمد بن يونس الحارثي عن قتادة عن أنس- مرفوعًا: «إذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل رضوان خازن الجنة فيقول: نجد جنتي وزينها للصائمين.. الحديث بطوله. ساقه ابن حبان». اهـ.

٣- قلت: ساقه ابن حبان وقال عقبه: «المتن باطل». كذا في «المجروحين» (١٨٣/١).

٤- وفي هذا الطريق علة أخرى:

قتادة عن أنس مرفوعًا:

قال الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الثالثة (٢٦): «قتادة بن دعامة السدوسي البصري صاحب أنس بن مالك رضي الله عنه مشهور بالتدليس وصفه به النسائي وغيره».

ولقد بين الحافظ ابن حجر في «المقدمة» حال هذه المرتبة فقال: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع». اهـ.

قلت: وفي هذا الطريق لم يصرح قتادة بالسماع ولكنه عنعن فلا يقبل حديثه، كما بيَّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٣) قال: «وحكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدل ألا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق باطل المتن تالف السند بالسقط الخفي في الإسناد وهو التدليس، وبالطعن في الراوي أصرم بن حوشب الكذاب الخبيث فهذا الطريق لا يزيد الطريق الأول إلا وهنًا على وهن كما بين ذلك الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣) فقال: «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: ويغني عن هذا البدائل الصحيحة في أعلى درجات الصحة والتي وفقنا الله وحده لنشرها بمجلة التوحيد الغراء عن شهر رمضان وفضائل الصيام تحت سلسلة «درر البحار من صحيح الأحاديث القصار» من حديث رقم (٢٣٧) حتى حديث رقم (٢٦٦) ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وهذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



فضائل الصيام وفوائده

إعداد/ محمد آدم أحمد علي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الصوم وقاية من الرذائل والزلل والشطحات، والهنات، والمخالفات، ووقاية من الآثام والمحرمات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصوم جُنَّة (وقاية) فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم). متفق عليه.

الصيام يبلغك التقوى، بكل ما فيها من عز ورفعة؛ لأن التقوى هي أعلى مكانة من الصيام نفسه وهي من الإيمان.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). (البقرة: ١٨٣)، وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال: ٢٩)، ومعنى فرقانا، تبعث في القلب نورًا وضياء وتقوية البصيرة.

هي حصن للخائف تؤمنه من كل ما يخاف منه ويحذره من سوء ومكروه في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الزمر: ٦١).

كلنا يسعى للسعادة والخروج من نكبات الدنيا، والسر للحصول على هذا، مخبوء تحت هذه الكلمة : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (الفتح: ٢٦).

سر فرج الكروب وذهاب الغم والهم وعلو شأن المسلمين واسترداد عزتهم ومجدهم، مدفون تحت كلمة التقوى.

وأحسن من عرَّف التقوى هو طلق بن حبيب كما قال بذلك الإمام ابن القيم؛ فقد سئل طلق بن حبيب عن التقوى فقال: (أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله؛ تخاف عقاب الله).

على علم ومعرفة ونور وبصيرة، موافقًا لشرع الله بإخلاص واتباع.

من فوائد الصوم العظيمة أنه ينقِّي النفس من أدران الشرك والكفران والنفاق، ويزكيها ويرفعها للعلياء، لتعانق الملائكة وتتشبه بها، وتنتفي فيها الخصال الحيوانية؛ لأن الحيوان له شهوة وليس له عقل، والملائكة عقل بدون شهوة، والإنسان عنده شهوة وعقل فإن انغمسا بدون تعقل وتقوى في الشهوات، كان أقرب للحيوان، وإن حكَّم عقله وابتعد عن الشهوات المحرمة واتقى الله، كان أقرب إلى الملائكة.

وللصيام فوائد اجتماعية جمة:

يجمع المسلمين ويوحدهم. قال الله

تعالى: (إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ) (الأنبياء ٩٢).

ثم هو: يشعر الغني بحاجة الفقير، ينمي خصال التآخي والتآزر والتكاتف والتعاون والتعاضد، والعطاء والجود، ويحيى خصال المساعدة والمساندة؛ حيث يكثر الإنفاق مما يولد المحبة والتواد والتعاطف والرحمة.

هو: لا رياء فيه، حيث أخبر الرسول عن ربه؛ عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" (رواه مسلم).

ومن فضائله أنه أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة وضياء ونورًا وشفاء ومغفرة. قال الله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ) (البقرة: ١٨٥)

هذا الشهر الفضيل شهر الصيام والقرآن جرت فيه معظم الأحداث المهمة والمفصلية والوقائع العظيمة.

يكفي أنه نزل فيه القرآن العظيم: المعجزة الخالدة، والضياء المنير، والصراط المستقيم، هدى وشفاء، ورحمة ومغفرة للمؤمنين. قال الله تعالى: (هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية: ٢٠).

(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) (الإسراء: ٩) (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ) (الإسراء: ٨٢)، (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ)(فصلت: ٤٤)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: ٥٧- ٥٨).

حدثت فيه أحداث غيرت مجرى التاريخ:

أولها: غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة بين المسلمين وكفار قريش، انتصر المسلمون مع قلة عددهم وعدتهم، وكثرة عدد وعدة عدوهم؛ حيث كانت فاتحة خير للنصر المبين، عز الله بهذا النصر الإسلام والمسلمين، وذاع صيت الإسلام والمسلمين، وعلا شأنهم وقويت شوكتهم، يهابوا، ويحترموا. وحتى الفتح المبين والنصر العظيم وهو فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة كان في شهر رمضان. قال الله تعالى: (إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا) (النصر ١ - ٣).

وهكذا أشار الله لهذا الفتح بأنه فتح الفتوح، بشَّر به سبحانه وتعالى لرسوله، وأمره عند حصوله، أن يشكر الله ويسبحه ويستغفره ويحمده، وقد فعل صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كان النصر للمسلمين في كل عهد وفي كل العصور إلا أن تنكب المسلمون الطريق، مخالفين أمر ربهم، غير شاكرين لأنعمه، غير مستغفرين، غير موحدين لله حق توحيد.

عند هذه النقطة توقف النصر، توقف النصر، عندما تفرق المسلمين، توقف عندما تفرقت كلمتهم واختلفت قلوبهم، وتمزقت وحدتهم وتشتت أمرهم، ولا يعود لهم النصر، إلا إذا عادوا هم على جادة الصواب؛ (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد: ١١).

وهكذا وكما رأينا، أن لشهر الصيام والقرآن فضائل عظيمة وفوائد كثيرة، وحدثت أحداث مهمة ووقائع عظيمة، فما من معركة فاصلة إلا وحدثت فيه، وكان النصر دائمًا حليف المسلمين: من الانتصار على الفرس إلى الانتصار على الروم فمعركة حطين وطرد الصليبيين من القدس ومعركة عين جالوت وطرد التتار إلى أبد الآبدين.

وهو شهر مبارك يفرق فيه كل أمر عظيم.

ليت المسلمين يستشعرون عظمته ومكانته وما فيه من نفحات وبركات، ليتهم يتقربون إلى الله الواحد القهار بترك المحرمات وفعل الطاعات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (رواه البخاري). وقول الزور هو: كل عمل لا يحبه الله ولا يرضاه وتدخل فيه ضمنيًا شهادة الزور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



شهر رمضان.. آثار وأسرار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المتأمل في شهر رمضان، يجد فيه فضائل عديدة لا تخفى على عموم المسلمين، فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن المسلم متى صام الشهر إيمانًا واحتسابًا، وقام لياليه، ووفقه الله لقيام ليلة القدر، فإنه يخرج من الشهر وقد غفر الله له ذنبه، فقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (أخرجه البخاري (٣٧) واللفظ له، ومسلم (٧٥٩)).

إعداد/ عبد العزيز مصطفى الشامي

وقال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (صحيح البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٥٩)).

وفي المقابل فإن الخيبة كل الخيبة، والخسران كل الخسران ألا يغتنم العبد هذا الموسم العظيم، ويحرم من مغفرة الله، فيبعده الله ويخزيه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له" (الترمذي ٣٥٤٥ وصححه الألباني).

ولهذا الشهر أسرار تشريعية عديدة تنعكس آثارها على المسلم، منها:

١- تحقيق التقوى:

من أسمى أهداف وأسرار تشريع الصيام: تدريب النفس على تحقيق التقوى والخوف من الله سبحانه وتجنب مساخطه، والالتزام بطاعته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

قال الإمام الرازي: «بَيَّنَ سُبْحَانَهُ بِهَذَا الكَلَامِ أَنَّ الصَّوْمَ يُورِثُ التَّقْوَى لِمَا فيه من انكسار الشَّهْوَةِ وَانْقِمَاعِ الْهَوَى؛ فَإِنَّهُ يَرْدَعُ عَنِ الْأَشَرِ وَالْبَطَرِ وَالْفَوَاحِشِ، ويهون لذات الدنيا ورئاستها؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّوْمَ يَكْسِرُ شَهْوَةَ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، فَمَنْ أَكْثَرَ الصَّوْمَ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُ هَذَيْنِ وَخَفَّتْ عَلَيْهِ مُؤْنَتُهُمَا، فَكَانَ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَحَارِمِ وَالْفَوَاحِشِ، وَمُهَوِّنًا عَلَيْهِ أَمْرَ الرِّيَاسَةِ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ جَامِعٌ لِأَسْبَابِ التَّقْوَى فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ فَرَضْتُ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ لِتَكُونُوا بِهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَثْنَيْتُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِي» (مفاتيح الغيب (٥/٢٤٠)).

٢- شهر التوبة:

عبر عام طويل يحمل العبد على ظهره من الذنوب والمعاصي ويقع في مخالفات كثيرة، والذنوب تميت القلوب، وغبارها يزكم الأنوف، وإذا اعتاد العبد على الذنب استسهله وخاض في غماره، فيظلم قلبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ»، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤). (سنن الترمذي (٣٣٣٤) وحسنه الألباني).

قال المباركفوري: «وقوله: (نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ) أَيْ جُعِلَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ أَيْ أَثَرٌ قَلِيلٌ كَالنُّقْطَةِ شِبْهُ الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما، وَيَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ الْمَعْصِيَةِ وَقَدْرِهَا، وَالْحَمْلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْلَى مِنْ جَعْلِهِ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ؛ حَيْثُ قِيلَ شُبِّهَ الْقَلْبُ بِثَوْبٍ فِي غَايَةِ النَّقَاءِ وَالْبَيَاضِ وَالْمَعْصِيَةُ بِشَيْءٍ فِي غَايَةِ السَّوَادِ أَصَابَ ذَلِكَ الْأَبْيَضَ فَبِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ يُذْهِبُ ذَلِكَ الْجَمَالَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَ الْمَعْصِيَةَ صَارَ كَأَنَّهُ حَصَلَ ذَلِكَ السَّوَادُ فِي ذَلِكَ الْبَيَاضِ». (تحفة الأحوذي (٩/١٧٨)).

إن رمضان نفحة نادرة ثمينة فيها الرحمة والمغفرة، ودواعيها متيسرة، والأعوان عليها كثيرون، وعوامل الفساد محدودة،

ومردة الشياطين مصفَّدون، ولله عتقاء في كل ليلة، وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النيران مغلقة، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناله إذن؟! وإذا لم يُغفر له في رمضان فمتى يُغفر له؟! ومتى يُقبل من رُد في ليلة القدر؟! ومتى يصلح من لا يصلح في رمضان حتى يصلح من كان به فيه من داء الجهالة والغفلة مرضان، من فرط في الزرع في وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسارة. (لطائف المعارف، لابن رجب ص٢١١ بتصرف يسير).

٣- الحث على العفو والصفح:

من أسرار الصيام: البعد عن أذى الناس، حتى يسلم الناس من لسان المسلم ويده، فلا ينبغي للعبد أن يصوم رمضان وهو واقع في الغيبة والنميمة والسب والشتم والكذب وهي معاص يجب الحذر منها واجتنابها من الصائم وغيره؛ إذ إنها تجرح الصوم وتضعف الأجر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (أخرجه البخاري (٥٧١٠))، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «الصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم» (أخرجه البخاري (١٨٠٥)، ومسلم (١١٥١)).

فالصوم ليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من الفجر حتى غروب الشمس، كلا، فهناك حِكَم وأسرار هذا بعضها، لكننا نرى كثيرًا من الناس تصوم بطنه ولا تصوم جوارحه، فيصوم عن الحلال المباح، ويتناول ما حرم الله من المنكرات كقول الزور وفعل الزور، فلا يتورع بلسانه عما حرم الله، ولا يغض بصره كذلك عن المحرمات، ويقع بيده ورجله في المحرمات، بل ربما يفطر عند إفطاره على كسب محرم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن مما يستجلب العبد عفو الله عنه بعفوه عن الناس، ولين الجانب معهم، وخفض الجناح لهم، فعن عائشة أنَّها قالت: (يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (أخرجه الترمذي(٣٥١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٤٤٢٣)).

قال ابن رجب: «والعفوّ من أسماء الله تعالى وهو الذي يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض؛ فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته» (لطائف المعارف لابن رجب ص(٢٢٨)).

٤- الشعور بوحدة الأمة:

وأنت تصوم هذا العام وتفطر على ما رزقك الله من خيره وفضله، تذكر إخوانك المبتلين في كل مكان في أنحاء من الأرض كثيرة، فاستشعر معاناتهم وآلامهم، وابذل لهم من مالك ودعائك ما تستطيع، واحمد ربك على نعمة العافية، فإن من الأمور التربوية في رمضان هو الشعور بوحدة الأمة وجماعية الطاعة، فلو أن الله تبارك وتعالى كلف كل واحد منا بصيام ٣٠ يومًا وحده وقيام ٣٠ ليلة منفردًا عمن حوله، لوجد صعوبة كبيرة وكان هذا العمل فيه مشقة عظيمة، ولكن من رحمة الله تبارك وتعالى بالأمة أن جعل الطاعة جماعية، ففي رمضان يصير الغالب على المجتمع حرصه على الصيام مع أعمال الطاعة والخير والبر، فالمساجد تمتلئ، وأعمال البر والصدقات يتسابق فيها المتسابقون، والأخلاق السمحة تفرض نفسها، والكل يقرأ القرآن ويجلسون في المساجد، وما ذلك إلا بما أودعه الله في هذا الشهر من بركات، وتيسيره للناس سبل الخير عن غيره من الشهور.

٥- حمية للجسد:

من رحمة الله تبارك وتعالى بالعباد أن جعل الصيام وقاية وحماية وتنظيفًا للبدن مما فيه من سموم وأدواء، ففي الصوم صحة البدن، وخلوصه من الأخلاط الرديئة.. وفي الصوم إضعاف للشهوات التي تزداد مع الأكل والشرب وإطلاق النظر، فيأتي الصيام ليكسر هذه الشهوات، فيحفظ الإنسان جوارحه.

إن البدن طوال العام مع العمل يكل ويمل وقد تصاب أجهزة الجسم بالآلام والأسقام، والأفضل أن تستريح الأعضاء بعضًا من الأوقات لتستعيد نشاطها وقوتها مرة أخرى، فمن رحمة العزيز العليم أن جعل للمعدة وقتًا تستريح فيه كما يستريح غيرها من الأعضاء.

وبامتناع الإنسان عن الشهوات بالصوم المشروع؛ ترتقي نفسه وتسمو روحه، وكأنها تقترب من الملأ الأعلى الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون؛ فيكون هذا السمو الروحي، وكسر حدة الشهوات عاملاً مهمًا ليتخلص المرء من حصار الآفات المهلكة.

هل نغتنم الأزمان الفاضلة؟!

إن أبواب الأجر في الإسلام كثيرة، وإن أسباب اكتساب الحسنات متعددة، وفي شهر رمضان تتضاعف أجور الأعمال الصالحة، فضلاً من الله- عز وجل- على عباده، وينادي مناد في أول ليلة من رمضان فيقول: «يا باغي الخير! أقبل، ويا باغي الشر! أقصر». (صحيح سنن الترمذي للألباني: ٦٨٢).

إن السعيد من اغتنم مواسم الشهور، والأيام، والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بأنواع الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة من يأمن بعدها من النار، وما فيها من اللفحات.

اللهم مَنَّ علينا بأعمال صالحة في رمضان وتقبلها منا، واملأ نفوسنا رضا بك، وثقة فيك، ومحبة لك، وطمأنينة بذكرك، وأعنا اللهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

رمضان بين الإيمان والقرآن



إعداد/ أحمد عبد الرحمن الشنواني

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، (وبعد) :

ها نحن نستقبل شهر رمضان المبارك، رزقنا الله حسن اغتنامه بالخير والقربات والطاعات. وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بالأمر بصيامه قائلا : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) . ثم قال تعالى : (شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ) ، فنلاحظ في هذا الخطاب الكريم أن الله تعالى نادى المؤمنين بهذا التشريع : (يا أيها الذين آمنوا ....) ، وفي الآية الأخرى يبين تعالى أن هذا الشهر هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن ، وفي هذا إشارة إلى هذه العلاقة الوثيقة ، والرابطة الحميمة عند المؤمنين بين الإيمان والقرآن لاسيما في شهر رمضان.

تعلمنا الإيمان

وكأني بقول جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانا) فلم يُعَلَّمَ الصحابة الكرام التكاليف الشرعية والحلال والحرام والتشريعات المتنوعة ، قبل ترسيخ الإيمان ومسائله وأركانه في قلوبهم ، وذلك بتعليمهم إياه علما يستلزم طاقة إيجابية عملية تفاعلية تقيم أحدهم على طاعة الله عز وجل وتوحيده ، وتحول بينه وبين الإشراك به ومعصيته .

لما تعلم الصحابة الإيمان تعلموا أن أي معرفة لا تثمر عملا لا تنفع صاحبها وليست من الإيمان في شيء ،

وفي القرآن تكثر الآيات التي تقرن بين الإيمان والعمل الصالح : (وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ) ، فكان الإيمان في فهم وحس السلف الكرام : يقيناً جازماً يستلزم رضا وقبولا ، وخضوعا وانقياداً واستسلاماً، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّه رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً». رواه مسلم.

عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال : قل آمنت بالله ثم استقم " رواه مسلم.

روى البخاري بسنده عن عائشة -رضي الله عنها- قالت): إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنا أبداً.

لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) القمر: ٤٦ وما نزلت سورة البقرة

والنساء إلا وأنا عنده (صحيح البخاري) .

وكان في حسهم كذلك : أن : الإيمان أولا ، ووسطا ، وآخرا ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) ، وفي الحديث : (إنَّ الإيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أنْ يُجَدِّدَ الإيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ . صححه الألباني في صحيح الجامع .

ثم تعلمنا القرآن:

فبالقرآن يزداد الإيمان : (... فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون) ، فآيات القرآن التي يتلوها المؤمن في رمضان وغيره : تعرض ربوبية الله عز وجل ، وخلقه ، وملكه ، وتدبيره، وتعرُّف بأسمائه وصفاته وأفعاله : تزيد المؤمنين إيمانا وحبا وتعظيما ، وخوفا ورجاء : «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » (الرعد:٢-٤).

وآيات القرآن التي تعرض الآخرة ، ومشاهدها ، وأحداثها تزيد المؤمنين الموقنين بيوم الدين إيمانا ، وخوفا من العذاب، وطلبا للنجاة، وطمعا في الفوز والنعيم : «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ » (التكوير:١-١٣).

«إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (الزلزلة:١-٨).

وآيات القرآن التي تبين الحكمة من خلق الثقلين ، وحمل الإنسان الأمانة ، وتبين النجدين ، ونماذج المستخلفين ، وأصنافهم ، وأحوالهم ، ومواقفهم ، واستحقاقهم الهداية من عدمه ، تزيد المؤمنين إيمانا ، فيلتزمون ذكر الله ومنهاجه ، ويسلكون سبيل المؤمنين ، ويجتنبون سبيل المجرمين، قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » (الذاريات:٥٨).

وقال سبحانه: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ » (طه: ١٢٤-١٢٧).

وآيات القرآن التي تبين منهج الحق، وتشريعات الله تعالى تزيد المؤمنين إيمانًا في التزامها والاستقامة عليها : «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ » (الأنعام:١٦١-١٦٥).

وآيات القرآن التي تبين الابتلاءات ، والعقبات والمعوقات ، والأعداء ، والمعينات والمثبتات تزيد المؤمن إيمانًا في تبين الطريق والأخذ بأسباب الفلاح: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » (فاطر:٦،٧).

وهكذا؛ فالواجب علينا أن نحقق إيمانا ينفعنا في نيل هداية القلوب في الدنيا : (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) (التغابن: ١١).

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ) (البقرة: ١٨٥).

والنجاة والفوز والسعادة في الآخرة : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: ٩٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " رواه البخاري ومسلم .

قال الشراح : أي : صام وقام رضا وسكينة وفرحا ، فطابت نفسه بطاعة ربه ، فلم يستطل أيام الشهر ولياليه ، بل أطاع شوقًا وحبًا وطمعًا وخوفًا ورجاءً؛ لذلك احتسب حتى ينال مغفرة العزيز الغفور.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا إيمانا يباشر قلوبنا ، وينفعنا بالقرآن العظيم.

شهر الصبر رمضان

الحمد لله على نعمة الصبر، وسبحان من بيده الخلق والأمر، والصلاة والسلام على مُعلم الصبر.
وبعدُ: فلا شك أن شهر رمضان أعظم جامعة لتعليم الناس الأخلاق الحميدة والتي منها خلق الصبر الحصن الحصين ضد الشدائد والأزمات.
وأصل الصبر: الحَبْس فسُمّي الصومُ صَبراً لما فيه من حَبْس النَّفس عن الطعام والشَّراب والنِّكاح. النهاية في غريب الحديث الأثر (٣/٩).

إعداد/ صلاح عبد الخالق

وحقيقة الصبر: هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها. عدة الصابرين (١/١٦).

حديث القرآن عن الصبر:

- قَالَ الإمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ الله تَعَالَى: «الصَّبْرُ فِي القُرْآنِ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ مَوْضِعًا». مدارج السالكين (٢/١٥١).
مِنْ هذه الآيات مثلاً: قوله تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص: ٤٤). «إِنَّا وَجَدْنَاهُ» أي: أيوب «صَابِرًا» أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى«نِعْمَ العَبْدُ» الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء. (تفسير السعدي: (١/٧١٤).

حديث السنة عن الصبر:

جاء عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم في الصبر أحاديث كثيرة جدًا منها:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ، وَالحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله تَمْلآنِ- أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» صحيح مسلم (٢٢٣).

جامع أنواع الصبر:

وأوصى النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أبا أمامة البَاهلي فقَالَ: «صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ رَمَضَانَ، صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ...» (صحيح الجامع: ٣٧٩٤).

أنواع الصبر ثلاثة:

وأفضل أنواع الصبر: الصيام؛ فإنه يجمع الصبر على الأنواع الثلاثة؛ لأنه صبر على طاعة الله عز وجل، وصبر عن معاصي الله، وفيه أيضا صبر على الأقدار المؤلمة،

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي شهر الصيام شهر الصبر. جامع العلوم والحكم (١/٢١٩).

أولا: الصبر على طاعة الله تعالى:

أما الصبر على طاعة الله فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحيانًا يكرهه لمشقته، لا لأن الله فرضه، لو كره الإنسان الصوم؛ لأن الله فرضه لحبط علمه لكنه كرهه لمشقته، ولكنه مع ذلك يحمل نفسه عليه فيصبر عن الطعام والشراب والنكاح لله عز وجل. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/١٣٩٣)).

١- الصبر على مشقة الصيام:

لا شك أن الصوم فيه مشقة كبيرة على النفوس لذلك هيأ الرحمن سبحانه النفوس لاستقبال هذه الطاعة قائلا: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ » (البقرة: ١٨٣- ١٨٤).

في هذا النداء العذب من الملك إلى عباده المؤمنين: يا عبادي، الصوم فيه خير كثير لكم، منها التقوى التي فيها السعادة والنجاة، وهذا يحتاج إلى صبر فما هي إلا أيام معدودات وتنتهي أيام الصيام.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري (١٩٠١) مسلم (٧٥٩).

٢- الصبر على صلاة التراويح:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» سنن الترمذي (٨٠٦) صحيح الجامع(١٦١٥).

والمعنى: (إن الرجل إذا صلى) أي التراويح في أول الليل في رمضان. (مع الإمام حتى ينصرف) أي: يفرغ الإمام من الصلاة ويرجع. (حسب له قيام ليلة) أي كاملة. مرعاة المفاتيح (٤/٣١٨).

- فاتق الله في عمرك، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك، أن تُحسبَ لك عند الله ليلة، فكل ليالي العمر هَدَر وضياع لا قيمة لها إلا أن تقومها لله عز وجل؛ فعندها يُحسب لك عند الله قيام ليلة واحتساب هذا الأجر عند الله عظيم؛ فاصبر على إمامك حتى ينصرف ولا تستعجل فتخسر ليلتك. أسرار المحبين في رمضان (٢٠٠/١).

٣- الصبر على الاعتكاف:

شَرَعَ اللهُ الاعْتِكَافَ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالخَلْوَةُ بِهِ، وَالانْقِطَاعُ عَنِ الاشْتِغَالِ بِالخَلْقِ، وَالاشْتِغَالُ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ، وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ القَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ بَدَلَهَا، وَيَصِيرُ الهَمُّ كُلُّهُ بِهِ، وَالخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أُنْسُهُ بِاللهِ بَدَلًا عَنْ أُنْسِهِ بِالخَلْقِ، فَيُعِدُّهُ بِذَلِكَ لأُنْسِهِ بِهِ يَوْمَ الوَحْشَةِ فِي القُبُورِ حِينَ لاَ أَنِيسَ لَهُ، وَلاَ مَا يَفْرَحُ بِهِ سِوَاهُ، فَهَذَا مَقْصُودُ الاعْتِكَافِ الأَعْظَمِ. زاد المعاد (٨٢/٢).

٤- الصبر على قيام ليلة القدر:

وهذا يتضح من أقواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ليلة القدر تحروا، التمسوا.

٥- الصبر على كل الطاعات في شهر رمضان دون تعجل.

ثانيا الصبر عن المعاصي:

لأن المعاصي كثير منها تهواها النفوس وتريدها، فيحمل نفسه على الصبر فيصبر ويحبسها عن هذا الشيء، ويرجو بذلك الأجر من الله، فيصبر خوفاً من الله ورجاءً في ثوابه.

١- الصبر عن معاصي اللسان:

الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان كالنميمة والغيبة، والكذب والمراء، والثناء على النفس تعريضا وتصريحا، وحكاية كلام الناس، والطعن على من يبغضه، ومدح من يحبه، ونحو ذلك فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر. عدة الصابرين (٧٠/١).

ومما صح في ذلك:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» صحيح البخاري(١٩٠٣).

قَالَ ابنِ العَرَبِيِّ: «مُقْتَضَى هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا ذُكِرَ لاَ يُثَابُ عَلَى صِيَامِهِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَ الصِّيَامِ لاَ يَقُومُ فِي المُوَازَنَةِ بِإِثْمِ الزُّورِ وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ. وَقَالَ البَيْضَاوِيُّ: لَيْسَ المَقْصُودُ مِنْ شَرْعِيَّةِ الصَّوْمِ نَفْسَ الجُوعِ وَالعَطَشِ، بَلْ مَا يَتْبَعُهُ مِنْ كَسْرِ الشَّهَوَاتِ وَتَطْوِيعِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ لِلنَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ، فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ نَظَرَ القَبُولِ، فَقَوْلُهُ لَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ مَجَازٌ عَنْ عَدَمِ القَبُولِ، فَنَفَى السَّبَبَ وَأَرَادَ المُسَبَّبَ وَاللهُ أَعْلَمُ. فتح الباري(١١٧/٤).

٢- الصبر عن رؤية المنكرات وسماعها: المقصود بالصبر عنها بجميع أنواعها التي تبث السموم في العسل، وتنفق المليارات في جذب الناس إليها لصد الناس عن طاعة الله تعالى والوقوع في أوحال المعاصي، وتضييع الأوقات والأعمار في معصية الله تعالى، فاصبر وانتبه وابتعد عن خطوات شياطين الإنس قبل أن تندم لأنك لا تدري لعله يكون آخر رمضان في حياتك.

ثالثا: الصبر على أقدار الله المؤلمة:

الصبر على أقدار الله وذلك أن الإنسان يصيبه في أيام الصوم-ولاسيما في الأيام الحارة والطويلة-؛ من الكسل والملل والعطش ما يتألم ويتأذى به ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١٣٩٣/١).

خلاصة شهر الصبر:

إنه في شهر رمضان صبرٌ يجر إلى صبر، ونصرٌ يقود إلى نصر؛ فلئن كان الصيام قد علمك -أيها المسلم- أن تصبر اليوم طائعًا مختارًا في وقت الأمن والرخاء، فأنت غدًا أقدرُ على الصبر والمصابرة في البأساء والضراء وحين البأس، ولئن كان الصيام قد علمك كيف تنتصر اليوم على نفسك، فلقد أصبحت به أجدر أن تنتصر غدًا على عدوك، وتلك عاقبة التقوى، التي أراد الله أن يرشحك لها بالصيام. أسرار المحبين في رمضان (١٥٤/١).

من فضائل وفوائد الصبر:

١- قال تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ» (الزمر: ١٠)، من كثرة الأجور المضاعفة للصابرين لا حد لها ولا عد ولا وزن لها ولا مكيال، بل تُغرف غرفا لكثرتها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» صحيح البخاري (١٤٦٩).

٢- جعل سبحانه الصبر سبب محبته ومعيته، ونصره وعونه، وحسن جزائه، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً. فقال سبحانه: «وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ» (آل عمران: ١٤٦)، وقال سبحانه: «وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ» (الأنفال: ٤٦).

٣- السعادة والنعيم في الجنة: قال تعالى: «جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ» (الرعد: ٢٣-٢٤).

اللهم اجعلنا من المقبولين الفائزين.

ولا تسرفوا

إعداد/ د. جمال عبد الناصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

جاء شهر رمضان شهر الخير والبركة، شهر يؤدِّب النفس ويأخذ بيدها إلى الصلاح والانضباط، فما أحوجنا في شهر الخيرات أن نتعلم أخلاق الإسلام في الاستهلاك، حيث نهانا الله تعالى عن الإسراف والتبذير، فقال سبحانه: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: ٣١).

إن الاعتماد على النفس أمر مهم وضروري جدًّا لكل أمة أرادت أن تبني نفسها وتقيم حضارتها.

المجتمعات المسلمة والاستهلاك

لا شك أن غالبية مجتمعاتنا المسلمة صارت مجتمعات استهلاكية تصارع تحديات الاستهلاك، بل تضطرها تلك التحديات إلى التخلي عن الكثير من تطلعاتها ورغباتها دوليًّا واستراتيجيًّا وأخلاقيًّa أيضًا، بل والتخلي عن كرامتها أحيانًا كثيرة!! ولا شك أن الفقراء لديهم الميل الحدِّي للاستهلاك مرتفع، وبالعكس فهو منخفض لدى الأغنياء، فما إن يحصل الشخص الفقير على جزء من المال حتى يبادر ويسارع إلى إشباع كل حاجة كانت تلح عليه، فلا يبقى لديه من المال شيء، ففي الغالب تكون احتياجاته أكثر بكثير من موارده، والمسألة نسبية، فالغني أيضا تكون احتياجاته أكثر من موارده، ولكن بشكل أقل من احتياجات الفقير لذلك ترى ما هي التحديات التي تواجهها تلك المجتمعات المسلمة؟

الثورة التكنولوجية الهائلة

لقد أتاحت الثورة التكنولوجية لجميع بني البشر ما لم يكن يطمح إليه أحد من قبل؛ وهو ما دفع الفقراء إلى الاستمتاع بما كان يستمتع به الغني، وبالتالي تفاقمت مشكلة التقليد والمحاكاة، ومحاولة حصول الفقير على التكنولوجيا الحديثة ليشبع بها النقص في حياته، فقد ترى أن فقيرًا يمتلك وسائل التكنولوجيا الحديثة ويحصل عليها وهي ليست من الضروريات بل من الكماليات أو الحاجيات، قبل أن يحصل على الغذاء والكساء والمسكن التي هي من ضروريات الحياة، نرى حارس العقار (البواب) مثلا معه هاتف محمول، وكذلك الساعي، بل ربما يلجأ بعضهم إلى امتلاك أحدث الموديلات كي يشعر بالتفوق على الآخرين، متناسيا ظروفه المادية وحاجياته الضرورية.

فلا بد لنا أن نجعل شهر الصيام هو شهر النظام والاعتدال في أمورنا كلها ولا نسرف فيه ولا نبذر، بل لا بد أن ندرب أنفسنا على الاعتدال والوسطية.

الاعتدال هو منهج الإسلام

لقد وضع الإسلام منهجًا معتدلا ومنضبطا يحمي الإنسان من الأزمات ويعينه على مواجهتها والتصدي لها، وينهاه أن يقف مكتوف الأيدي تجاه تلك الأزمات، فنحن في شهر الخير والبركة ليتنا ندفع الإسراف والتبذير وننتهج منهج الاعتدال والوسطية متخذين من شهر الصيام نبراسًا نستضيء به؛ فما أحوجنا حقًّا إلى أن نتعلم من رمضان درسًا نضبط به ميزانياتنا ونعيش عيشة وسطا لا إسراف فيها ولا تقطير مصداقًا لقوله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً» (الفرقان: ٦٧).

لقد انماز منهج الإسلام بالاعتدال والوسطية في الإنفاق، فلا ينبغي للإنسان أن يبالغ في الإنفاق فيكون مصيره الندم بعد ذلك، ولا يُقتِّر فيه ويضيق على أولاده فيصيبه الضرر، مصداقًا لقوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا × إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا × وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا» (الإسراء: ٢٩-٣١).

فالمنهاج الإسلامي القائم على الإيمان بالله، ووحدانيته، وتنزيهه، وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة هو وحده الذي يضمن للبشر أن يواجهوا ويتخلصوا مما يطرأ على حياتهم من أزمات ومشاكل، فهذا المنهج هو المنهج الوسط الذي لا إفراط فيه، ولا تفريط، ولا غلو، ولا تقصير. ووسطية أهل الإسلام المستقيمين على هديه

تبدو في الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا والنظرة إليها، ومطالب الآخرة والعمل لها، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك دون إفراط أو تفريط، ودون إسراف أو تقتير، قال تعالى: «وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (الإسراء: ٢٩) وقال سبحانه: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (القصص: الآية ٧٧).

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل، والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات.. ولا تنس نصيبك من الدنيا، أي مما أباح الله لك فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمناكح، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا». فالإسلام دين وسط بين من غلا في أمر الدنيا ولم يهتم بالآخرة، وبين من غلا في أمر الآخرة، ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد واحتقار.

ومن هنا فقد وضع الإسلام عدة مبادئ وضوابط شرعية في مجال الاستهلاك، تكفي لتحقيق الوقاية والمناعة من كثير من الأزمات والمجاعات التي يتعرض لها كثير من المجتمعات الإسلامية، وتمنع من الوقوع في الإسراف، ومن هذه المبادئ:

١- معرفة أن نعم الله تعالى التي أنعمها على البشر لا تخص طائفة دون أخرى، وحتى لو وجدت بيد فئة معينة؛ فإن للآخرين حقا فيها، فالمال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، ومن هنا فإنه ليس للمسلم أن يفرط أو يسرف ويبذر في استهلاكه، بل لا بد له أن يراقب ربه في إنفاق المال.

٢- إن الاستهلاك عبادة وطاعة من الطاعات، فكما هي أوامر العبادات والمعاملات كذلك أمر الاستهلاك والإنفاقات، فينبغي التقيد فيها بحدود ما أمر الله دون إسراف في الحلال، ودون تبذير في الحرام، قال الله تعالى: «وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: ٣١).

وقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» (البقرة: ١٦٨). وقال تعالى: «وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ» (المائدة: ٨٨).

٣- الاستهلاك أمر طيب ومندوب إليه ما دام في حدود الشرع، لا يؤدي إلى ضرر بالنفس أو بالغير، ونعى القرآن الكريم على أولئك الذين يريدون تحريم ما أحل الله لهم من الطيبات، والزينة من الحياة، قال تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (الأعراف: ٣٢).

٤- الإسلام يحث على الاعتدال والتوسط في الإنفاق والاستهلاك، وينهى عن الإسراف، قال تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: ٣١)، ويحرم التبذير، قال عز وجل: «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا × إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» (الإسراء: ٢٦ - ٢٧).

وقد بين القرآن منهج عباد الرحمن بأنهم أصحاب توسط، بلا تفريط ولا إفراط، قال: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» (الفرقان: ٦٧)، ومنهج القوام والاعتدال يكفل للمجتمعات الإسلامية التخلص من كثير من المشكلات والأزمات التي ترهق كاهلها، ولا يمكن الالتزام بهذا المنهج إلا بوجود القناعة والحوافز الداخلية، من خلال الرقابة الذاتية الإيمانية.

٥- للاستهلاك في الإسلام أولويات لا بد من مراعاتها بحيث يبدأ المسلم بسد حاجات نفسه أولا، ثم أهله، ثم أقربائه ثم المحتاجين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك...».

٦- ينبغي للمستهلك المسلم أن يقوم بتلبية ضروراته أولا، ثم حاجياته، ثم تحسيناته، فالضروري: ما تتوقف عليه حياة الناس كالطعام والشراب، والحاجيات هي: ما يرفع الحرج ويدفع المشقة عن الناس، والتحسينات: ما يؤدي إلى رغد العيش ومتعة الحياة دون إسراف أو ترف أو معصية.

٧- يتحدد مستوى الاستهلاك والإنفاق على النفس والعيال والمحتاجين بالقدرة المالية للشخص فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

٨- لا يجوز أن يشتمل الاستهلاك على محرم مهما كان. اللهم إنا نعوذ بك من الشح والإسراف، فارزقنا حسن الإنفاق، وبارك لنا فيما رزقتنا وقنا واصرف عنا شر ما قضيت.

شهر رمضان.. الجود والإنفاق

إعداد/ د. عاطف التاجوري



بسم الله وبحمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

يقول الله تعالى: «وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ» (البقرة:١٩٥).

وردت هذه الآية الفريدة بعد آيات الصيام وقبل الحج.

قال ابن كثير في تفسيرها: «روى البخاري وابن أبي حاتم عن حذيفة أن هذه الآية نزلت في النفقة»، وقال ابن حجر في فتح الباري: «أي: في ترك النفقة في سبيل الله، وهذا الذي قاله حذيفة جاء مفسرًا فيه حديث أبي أيوب».

يعني به حديث أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: «نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم، فنزل فينا: «وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ» (البقرة:١٩٥)، فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد». (رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب).

ومعنى هذه الآية أن إيثار الأموال والأولاد والأهلين على الله ورسوله وجهاد في سبيله. هو الإلقاء بالنفس إلى التهلكة وليس كما فهمه هؤلاء الناس أن الجهاد في سبيل الله هو الإلقاء بالنفس إلى التهلكة.

هذا عن فضل الإنفاق على العموم، فكيف يكون فضله في شهر رمضان؟!

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ؛ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجودُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» أخرجه البخاري.

قال ابن حجر في فتح الباري: «ومعنى أجود الناس: أكثر الناس جودًا، والجود الكرم، وهو من الصفات المحمودة». اهـ.

وعن العلاقة بين الجود ومدارسة القرآن يقول ابن حجر في فتح الباري: قوله: «فيدارسه القرآن» قيل: الحكمة فيه أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة، وأيضًا فرمضان موسم الخيرات؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر متابعة سنة الله في عباده، فبمجموع ما ذكر من الوقت والنزول به والمذاكرة حصل المزيد في الجود والعلم عند الله تعالى.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث: «وفي هذا الحديث فوائد: منها: بيان عظيم جوده صلى الله عليه وسلم، ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان، ومنها: زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم، ومنها: استحباب مدارسة القرآن». اهـ.

فلننظر إلى هذه العلاقة بين الجود وبين القرآن وبين شهر رمضان؛ فشهر رمضان هو شهر القرآن، فيه نزل القرآن، وفيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قراءة القرآن وعرضه على جبريل، كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث أيضًا.

قلت: وفيه إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان؛ لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فكان جبريل يتعاهده في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه مرتين كما ثبت في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها.

ومن الجود إفطار الصائمين في هذا الشهر الكريم:

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا» (رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع). من أجل ذلك ترى إقبال المسلمين في كل مكان والحمد لله على إفطار الصائمين في هذا الشهر، وفي غيره أيضًا، ولكن فضل هذا الشهر أن جميع المسلمين فيه صائمون، فلا يوجد مشقة في معرفة الصائم من المفطر مما يسهل هذه القربة في هذا الشهر العظيم، وانظر أيضا إلى عظيم الأجر وسهولة العمل، فمهما فطرت من صائمين فلك على كل صائم مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شئ.

وقد كان سلفنا الصالح يكثرون من هذا العمل، فكان منهم من يؤثر بفطوره غيره وهو صائم، وكان منهم من لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم ويجلس يخدمهم، وكان منهم من إذا لم يجد من يأكل معه أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.

وهذه سنة منسية فنجد الذي يطعم الطعام اليوم ويفطر الصائمين إنما يقوم بتوزيع وجبات جاهزة عليهم فلا يجلس ويأكل معهم، وإذا أقام وليمة اختص بها الأغنياء، فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

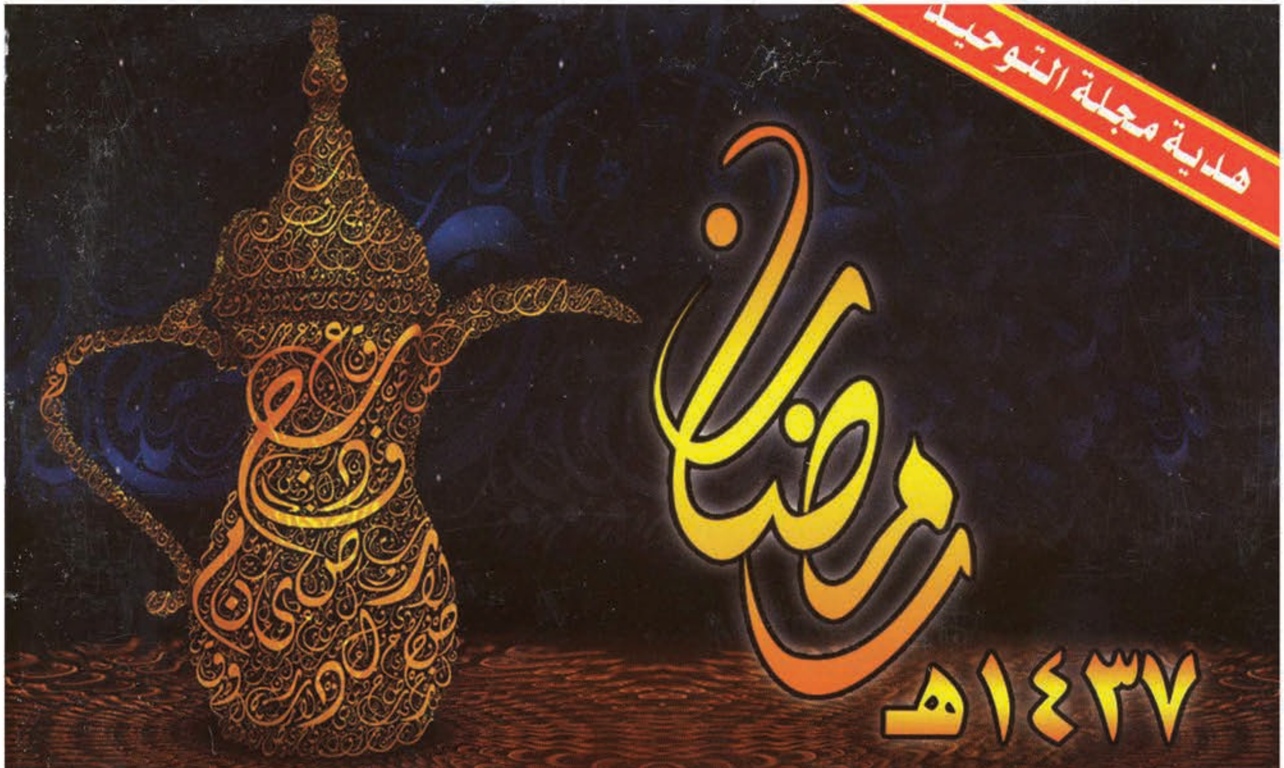
ختام الشهر والإنفاق في زكاة الفطر:

ثم تأتي زكاة الفطر في ختام الشهر فرضها الله تعالى على كل مسلم، عن كل عبد صغير أم كبير ذكر أم أنثى ليشعر جميع المسلمين بأهمية الإنفاق في هذا الشهر العظيم، وهذا كما جاء في الحديث المتفق عليه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الفِطْرِ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ». أي: قبل خروج الناس إلى صلاة العيد، ومعنى وجوبها على كل مسلم سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا، ذكرًا أم أنثى أن يقوم من يعوله بإخراجها عنه وجوبًا.

وعن ارتباط هذه الزكاة بالصوم جاء الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ». (رواه ابن ماجه والحاكم، وقال النووي: حديث حسن).

وهكذا أصبح الإنفاق مكملاً للصيام في شهر رمضان، فما لم يكفره الصيام من اللغو والرفث يكفره الإنفاق في زكاة الفطر في ختام هذا الشهر المبارك. وهي كذلك طعمة للمسكين، تغني هذه الشريحة المجتمعية عن السؤال في هذه الأيام المباركة ليزداد المجتمع الإسلامي ترابطًا وقوة، ويزداد المسلمون في تقربهم لربهم وارضائهم لمعبودهم سبحانه وتعالى.

نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا إلى مرضاته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.



اليوم	رمضان	ميلادي	الفجر	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
الاثنين	١	٦/٦	٣:٠٩	٤:٥٣	١١:٥٤	٣:٣٠	٦:٥٥	٨:٢٧
الثلاثاء	٢	٦/٧	٣:٠٩	٤:٥٣	١١:٥٤	٣:٣٠	٦:٥٥	٨:٢٨
الأربعاء	٣	٦/٨	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٥	٣:٣٠	٦:٥٦	٨:٢٩
الخميس	٤	٦/٩	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٥	٣:٣١	٦:٥٦	٨:٢٩
الجمعة	٥	٦/١٠	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٥	٣:٣١	٦:٥٧	٨:٣٠
السبت	٦	٦/١١	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٥	٣:٣١	٦:٥٧	٨:٣٠
الأحد	٧	٦/١٢	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٥	٣:٣١	٦:٥٧	٨:٣١
الاثنين	٨	٦/١٣	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٦	٣:٣١	٦:٥٨	٨:٣١
الثلاثاء	٩	٦/١٤	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٦	٣:٣١	٦:٥٨	٨:٣١
الأربعاء	١٠	٦/١٥	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٦	٣:٣٢	٦:٥٨	٨:٣٢
الخميس	١١	٦/١٦	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٦	٣:٣٢	٦:٥٩	٨:٣٢
الجمعة	١٢	٦/١٧	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٧	٣:٣٢	٦:٥٩	٨:٣٢
السبت	١٣	٦/١٨	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٧	٣:٣٢	٦:٥٩	٨:٣٣
الأحد	١٤	٦/١٩	٣:٠٨	٤:٥٣	١١:٥٧	٣:٣٢	٦:٥٩	٨:٣٣
الاثنين	١٥	٦/٢٠	٣:٠٩	٤:٥٤	١١:٥٧	٣:٣٣	٧:٠٠	٨:٣٣
الثلاثاء	١٦	٦/٢١	٣:٠٩	٤:٥٤	١١:٥٧	٣:٣٣	٧:٠٠	٨:٣٣
الأربعاء	١٧	٦/٢٢	٣:٠٩	٤:٥٤	١١:٥٨	٣:٣٣	٧:٠٠	٨:٣٤
الخميس	١٨	٦/٢٣	٣:٠٩	٤:٥٤	١١:٥٨	٣:٣٣	٧:٠٠	٨:٣٤
الجمعة	١٩	٦/٢٤	٣:١٠	٤:٥٥	١١:٥٨	٣:٣٤	٧:٠٠	٨:٣٤
السبت	٢٠	٦/٢٥	٣:١٠	٤:٥٥	١١:٥٨	٣:٣٤	٧:٠١	٨:٣٤
الأحد	٢١	٦/٢٦	٣:١٠	٤:٥٥	١١:٥٨	٣:٣٤	٧:٠١	٨:٣٤
الاثنين	٢٢	٦/٢٧	٣:١١	٤:٥٦	١١:٥٩	٣:٣٤	٧:٠١	٨:٣٤
الثلاثاء	٢٣	٦/٢٨	٣:١١	٤:٥٦	١١:٥٩	٣:٣٤	٧:٠١	٨:٣٤
الاربعاء	٢٤	٦/٢٩	٣:١٢	٤:٥٦	١١:٥٩	٣:٣٥	٧:٠١	٨:٣٤
الخميس	٢٥	٦/٣٠	٣:١٢	٤:٥٧	١١:٥٩	٣:٣٥	٧:٠١	٨:٣٤
الجمعة	٢٦	٧/١	٣:١٣	٤:٥٧	١١:٥٩	٣:٣٥	٧:٠١	٨:٣٤
السبت	٢٧	٧/٢	٣:١٣	٤:٥٧	١٢:٠٠	٣:٣٥	٧:٠١	٨:٣٤
الأحد	٢٨	٧/٣	٣:١٤	٤:٥٨	١٢:٠٠	٣:٣٦	٧:٠١	٨:٣٣
الاثنين	٢٩	٧/٤	٣:١٤	٤:٥٧	١٢:٠٠	٣:٣٦	٧:٠١	٨:٣٣
الثلاثاء	٣٠	٧/٥	٣:١٥	٤:٥٩	١٢:٠٠	٣:٣٦	٧:٠١	٨:٣٣